

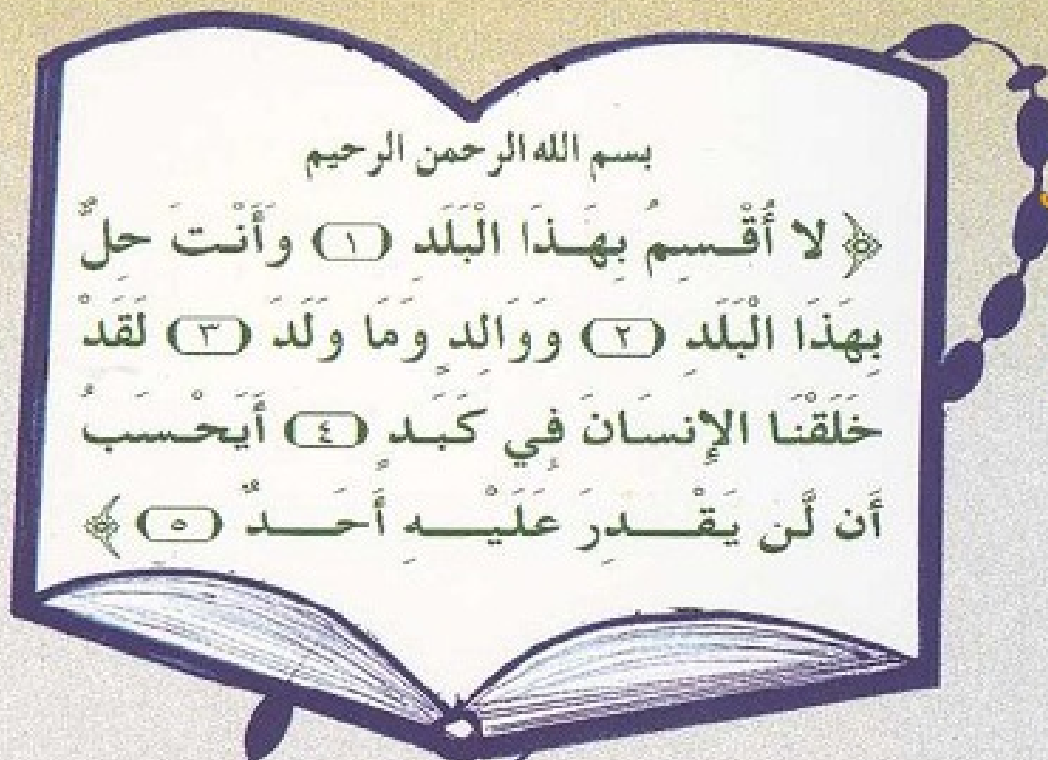
إعجاز القرآن

التفسير في القرآن الكريم

تأليف

الدكتور حسين نصار

عميد كلية الآداب - جامعة القاهرة سابقاً



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لا أقسم بهذا البلد ﴾ (١) وأنت حل
بهذا البلد (٢) ووالد وما ولد (٣) لقد
خلقنا الإنسان في كبد (٤) أي حسب
أن لن يقدر عليه أحد (٥) ﴿

منتدى سور الأزبكية

www.books4all.net

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

منتدى سور الأزر بكيت

WWW.BOOKS4ALL.NET

<https://www.facebook.com/books4all.net>

إعجاز القرآن

الْقِسْمُ الثَّانِي فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

تأليف
الدكتور حسين نصار
عميد كلية الآداب - جامعة القاهرة سابقاً

الطبعة الأولى

١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ ش بورسعيد - الظاهر

ت: ٥٩٢٢٦٢٠ - فاكس: ٥٩٢٦٢٧٧

حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر
مكتبة الثقافة الدينية



مُقَدِّمَةٌ

اتفق المسلمون على « إعجاز القرآن » ، ثم ذهبوا مذاهب شتى في «وجوه الإعجاز» حتى قاربت المئة ، بل ذهب بعضهم إلى أنها لا يمكن حصرها وأنها متجددة بتجدد الأيام ، إلى أن تفتى الأرض ومن عليها .

والكتاب الذى بين يدى القارئ يتناول واحدا من هذه الوجوه، ألا وهو ما تضمنه القرآن من «أقسام» عدها بعض المفكرين وجها للإعجاز. وهو يسعى إلى رصد تفكير من كتبوا باللغة العربية عن الأقسام، منذ مبدئه إلى اليوم ، مبينا ما طرأ على مجرى هذا التفكير من مد أو جزر ، ومن استقامة أو ميل ؛ ومن تجدد أو تجمد، أى يسعى إلى أن يصنع تاريخا شاملا ودقيقا للتفكير العربى الذى دار حول الأقسام فى القرآن .

وقد أدى هذا إلى ترتيب فصول الكتاب وجزئياته وتعليقاته ترتيبا تاريخيا . فقدمت الفصول والجزئيات الأقدم، وأعقبها ماتلاها فى الوجود. بل طبق هذا على أقسام التعليقات . فقد قسمت التعليقات إلى قسم يضم المصادر التى ورد فيها

القول بنصه منسوباً إلى صاحبه، وهى التى افتتح بها التعليق ؛ وإلى قسم وردت فيه الأقوال بالمعنى أو الإشارة ، ووضع بعد الفعل (انظر) الذى وردت الأقوال بعده على الحكاية ، أى دون أن تطبق عليها قواعد النحو ؛ وإلى قسم ثالث أورد الأقوال دون أن يعزوها إلى أصحابها .

وكان الأساس فى الترتيب التاريخى للمصادر القديمة سنى وفيات مؤلفيها ، مع العلم باحتمال وجود أخطاء ، لأن المتعاصرين قد يسبق إلى التأليف المتأخر وفاة. ولكن لا غم لك تواريخ محددة لسنى تأليف الكتب القديمة إلا فى النادر.

أما فى المصادر الحديثة فكانت سنة إصدار الطبعة الأولى هى الأساس، وإن كنت فى بعض الأحيان لم أجد سبيلاً إلى الوصول إليها ، فاضطرت إلى الاعتماد على طبعة تالية .

الجيزة فى ٤ رمضان ١٤٢١

٣٠ نوفمبر ٢٠٠٠

حسين نصار

الفصل الأول

المقسم به

منذ عهد الصحابة ، جذبت أقسام القرآن الأنظار ، بسبب كثرتها وغرابتها وخروجها عن المعتاد.

وكان من أقدم ما أثار انتباههم وعجبهم الإقسام بغير الله. فقد نهي النبي ﷺ المسلمين عن الحلف بغيره في قوله : « من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت ^(١) ».

وقد قنع جمهور المسلمين الأولين — في تصوري — بتسليم الأمر في هذه الأقسام إلى الله ، ذلك الموقف الذي عبر عنه عامر بن شعرا حيل الشعبي (١٩ — ١٠٣ / ٦٤٠ — ٧٢١) وغيره — فيما بعد — بالقول : الخالق يقسم بما شاء من خلقه ، والمخلوق لا ينبغي له أن يقسم إلا بالخالق ^(٢) .

(١) القرطبي ٦ / ٧١ . ابن القيم ١ / ٥٧ . الشوكاني ٣ / ١٤٠ . المنار ٧ / ٤٠ . الفراهي ٤ . القاضي ٨٥ . رضا ١٦٧ . إسماعيل ٣٦٦ . وانظر القطان ٣٠٣ . أمين ٢٤٠ . شحاتة ٢٧٣ .

(٢) ابن كثير ٤ / ٢٦٣ .

ونسبه إلى الحسن بن يسار البصري (٢١ — ١١٠ / ٤٦٢ — ٧٢٨) معترك ١ / ٤٥١ .
الإتقان ٢ / ١٧٠ . الشوكاني ٣ / ١٤٠ ، ٤٤٥ / ٥ . القطان ٣٠٣ . القاضي ٨٥ .
المدخل ١ / ٥٠٤ . العمري ٢٤٦ . قمحاوي ٣ / ٢٤ . رضا ١٦٧ .
وإلى محمد بن علي الباقر (٥٧ — ١١٤ / ٦٧٦ — ٧٣٢) وابنه جعفر (٨٠ — ١٤٨ / ٦٩٩ — ٧٦٥) : الطوسي ٩ / ٣٧٧ ، ١٠ / ٢٥١ . الطبرسي ٢٧ / ٧ ، ٣٠ / ٢٢ =

وإذا تتبعنا هذه الأقسام ، وجدنا فيها الأضرب التالية :

أ . الحروف المفردة

تكشف النصوص التي تجمعت لدى أن أول ما أثار الانتباه ظاهرة بدء عدد من السور بحروف مفردة، عدها كثير من العلماء أقساما ، كما نرى في قول عبد العظيم بن عبد الواحد المعروف بابن أبي الإصبع (٥٩٥ — ٦٥٤ / ١١٩٨ — ١٢٥٦) : تبين أن الحروف المقطعة أقسام ، وذلك لمطابقة الفواتح المفتحة بالأقسام لها في معانيها^(١).

وقد أعطانا فخر الدين محمد بن عمر الرازي (٥٤٤ — ٦٠٦ / ١١٥٠ — ١٢١٠) إحصائيتين تتعلقان بهذه الحروف وغيرها من الأقسام. كشف في الأولى منهما عن مواضعها في المصحف، فذكر أن القسم بالحروف وقع في نصف المصحف جميعا، بل في كل سُبُع. أما بالأشياء المعدودة فلم يوجد إلا في النصف الأخير بل لم يوجد إلا في السبع الأخير، غير قسم واحد هو " والصفات " . وعلل ذلك بأن القسم بالحروف لم ينفك عن ذكر القرآن أو الكتاب أو التزويل

= وأورده غير منسوب : الطبري ١١/١٩ . الطوسي ٤٤١/٨ ، ٣٩٩/٩ ، ٤١٨ ، ٥٠٦ ،

٣١٢/١٠ . الطبرسي ٤٨/٢٣ . القرطبي ٦١/١٦ .

الشوكاني ٣/١٤٠ ، ٤٥٥/٥ . الألوسي ٦٧/٢٣ . الألوسي لعبد الحميد ٢٤٧ — ٨ .

أمين ٢٤٠ . شحاتة ٢٧٣ . دفتر دار ٢٨٢ . إسماعيل ٣٦٦ .

(١) الخواطر ١١٠ .

بعده إلا نادرا . ولما كان جميع القرآن معجزة مؤداة بالحروف ، وجد ذلك عاما في جميع المواضع ، ولا كذلك القسم بالأشياء المحدودة ^(١) .

وكشف في الثانية أن الله أقسم بالحروف في أول ثمان وعشرين سورة ، وبالأشياء التي عددها عدد الحروف في أربع عشرة سورة ، لأن القسم بالأشياء غير الحروف وقع في أوائل السور وفي أثنائها ، والقسم بالحروف لم يوجد ولم يحسن إلا في أوائل السور ، لأن ذكر ما لا يفهم معناه في أثناء الكلام المنظوم المفهوم يخلّ بالفهم . ولما كان القسم بالأشياء له موضعان ، والقسم بالحروف له موضع واحد ، جعل القسم بالأشياء في أوائل السور على نصف القسم بالحروف في أوائلها ^(٢) . ولما كنت قد أعطيت الحروف المقتطعة كتابا مستقلا ، فإنني أكتفى بهذه الإشارة المبصرة ، إعلاما بمكانها هنا .

ب . ما اتصل بمحمد

١ . عمره

وكان من أقدم ما أثار الانتباه ، وأدى إلى اختلاف كثير ، القسم في الآية ٧٢ من سورة الحجر ، الذي ورد في أثناء سرد أخبار لوط — عليه السلام — ويقول : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ بسبب إيمان العلماء بأن القسم يدل على الإعزاز .

وكان من أول من تصدى لتفسير الآية عبد الله بن عباس (٣ ق . هـ . — ٦٨ / ٦١٩ — ٦٨٧) الذي رأى أن هذا القسم هو بحياة النبي ﷺ وعقبه على

(١) مفاتيح ١٢٧ / ٢٨ .

(٢) مفاتيح ١٢٧ / ٢٨ .

ذلك قائلا : ما خلق الله ، وما ذرأ ، وما برأ نفسا أكرم عليه من محمد ﷺ .
وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره ^(١) .

ولكن أبا نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري (١١٢٠/٥١٤) أعلن
في تفسيره : يحتمل أن يقال : يرجع ذلك إلى قوم لوط ، أى كانوا فى سكرتهم
يعمّهون . وقيل : لما وعظ لوط قومه وقال : هؤلاء بناتى ، قالت الملائكة : يالوط :
لعمرك إهم فى سكرتهم يعمّهون . ولا يدرون ما يحل بهم صباحا ^(٢) .

ورجّح هذا الاحتمال لدى جار الله محمود بن عمر الزمخشري
(٤٦٧-٥٣٨ / ١٠٧٥ - ١١٤٤) ففسر به الآية . ثم أعقب هذا التفسير
بقوله : وقيل : الخطاب لرسول الله ﷺ وإنه أقسم بحياته ^(٣) .

واستبعد عبد الحق بن غالب المعروف بابن عطية (٤٨١ - ٥٤٢ / ١٠٨٨ -
١١٤٤) تفسير ابن عباس ، لأنه يقطع القسم مما قبله وما بعده من السياق ^(٤) .

(١) الطبري ٣٠/١٤ . البغوى ٣/٣٨٧ . الطبرسى ٣٧/١٤ . أبو حيان ٥/٤٦٢ . ابن كثير
٢/٦٠١ . معترك ١/٤٥١ . الإتيقان ٢/١٧٠ . الآلوسى ١٤/٧٢ . القاضى ٨٦ .
المدخل ١/٥٠٤ . قمحاوى ٣/٢٤ . العمرى ٢٤٦ . رضا ١٦٨ . إسماعيل ٣٦٥ .
واقصر على الشق الثانى من القول منسوباً إلى ابن عباس : ابن عطية ٨/٣٣٨ . الرازى
١٩/١٦١ . ومنسوباً إلى أبى الجوزاء أوس بن عبد الله الربعى (٨٣/٧٠٢) : القرطبى
١٠/٣٩ . الشوكانى ٣/١٤٠ . وإلى الرجلين معا : أبو حيان ٥/٤٦٢ . وغير منسوب :
الزمخشري ٢/٥٨٦ . الشوكانى ٣/١٤٠ .

ووافق على أن القسم بحياة محمد : الزركشى ٣/٤٢ . حسين ٤٥ . بدوى ١٧٠ .
الآلوسى لعبد الحميد ٢٤٦ . شحاتة ٢٨٠ . خليف ٩٦ . إسماعيل ٣٦٤ - ٥ .
(٢) القرطبى ١٠/٤٠ . وذكر أن القسم قد يكون بحياة لوط : الزمخشري ٢/٥٨٥ . الرازى
١٩/١٦١ . أبو حيان ٥/٤٦٢ . الآلوسى ١٤/٧٢ .

(٣) الكشف ٢/٥٨٥ - ٦ . الشوكانى ٣/١٤٠ .

(٤) أبو حيان ٥/٤٦٢ .

وعلى الرغم من أن القاضي أبا بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي (٤٦٨-٥٤٣ / ١٠٧٦ - ١١٤٨) قال : قال المفسرون بأجمعهم : أقسم الله هاهنا بحياة محمد ﷺ فإنه لم يمنع التفسير الآخر ، وصرح : ما الذى يمنع أن يقسم الله بحياة لوط ، ويبلغ به من التشريف ما شاء ، وكل ما يعطيه الله للوط من فضل ، يؤتى ضعفية من شرف محمد ﷺ لأنه أكرم على الله منه ؟ أو لا ترى أنه — سبحانه — أعطى إبراهيم الخلة ، وموسى التكليم ، وأعطى ذلك لمحمد ؟ فإذا أقسم بحياة لوط فحياة محمد أرفع . ولا يُخرج من كلام إلى كلام لم يجر له ذكر ^(١) .

واستحسن محمد بن أحمد القرطبي (١٢٧٣/٦٧١) قول ابن العربي ، لأنه رأى أن تفسير ابن عباس يجعل القسم بحياة محمد كلاما معترضا فى قصة لوط ^(٢) .
ورفض شهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسى (١٢١٧-١٢٧٠ / ١٨٠٢ - ١٨٥٤) ما رواه الزمخشري ، لأنه — فى رأيه ، مع مخالفته للمأثور — محتاج لتقدير القول ، أى قالت الملائكة للوط . وهو خلاف الأصل ، وإن كان سياق القصة شاهدا وقرينة عليه . فلا يرد عليه ما قاله صاحب الفرائد من أنه تقدير من غير ضرورة . ولو ارتكب مثله ، لأمكن إخراج كل نص عن معناه بتقدير شئ ، فيرتفع الوثوق بما فى النص ^(٣) .

وأعلن د . يوسف خليف أن القسم بالنبي ﷺ ورد فى موضع واحد ، هو سورة الحجر ^(٤) ، وهو ما اتفق عليه جمهور المفسرين . وانفرد الزمخشري بالقول بأنه قسم بحياة لوط .

(١) القرطبي ٣٩ / ١٠ — ٤٠ . الشوكاني ٣ / ١٤٠ .

(٢) الجامع ١٠ / ٤٠ . الشوكاني ٣ / ١٤٠ .

(٣) روح ١٤ / ٧٢ .

(٤) دراسات ٩٨ . وأتى به غير منسوب : إسماعيل ٣٦٥ .

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن القسم بالرسول — ص — ورد في موضعين آخرين، في أول سورتي طه ويس ، وكلتا هما مكية . ولكن أكثر المفسرين على أن طه ويس من الحروف المقطعة التي افتتحت بها بعض السور^(١) .

وقد رأينا ابن عباس يعلل القسم بحياة محمد بأنه لا يوجد من هو أكرم على الله منه .

وذهب الزمخشري إلى أن الإقسام بحياة النبي كرامة له^(٢) . وعده ابن عطية تشريفا^(٣) ، والرازي تكريما^(٤) ، والقرطبي نهاية التعظيم، وغاية البر والتشريف^(٥) ، وابن كثير تشريفا عظيما، ومقاما رفيعا، وجاها عريضا^(٦) .

وعلل الزركشى هذا القسم بتعريف الناس عظمته عند الله ومكانته لديه^(٧) ، ود . أحمد أحمد بدوى بتشريف حياة الرسول، وتعظيم أمره في عيون السامعين^(٨) .

(١) دراسات ٩٨ .

(٢) الكشف ٥٨٦ / ٢ . الشوكاني ١٤٠ / ٣ . وأتى به دون نسبة : العمري ٢٤٦ .

(٣) المحرر ٣٣٨ / ٨ . وانظر القرطبي ٣٩ / ١٠ . ابن كثير ٦٠١ / ٢ . الشوكاني ١٤٠ / ٣ .

(٤) مفاتيح ١٦١ / ١٩ . الرازي لعبد الحميد ٢٥٣ — ٤ . وانظر أبو حيان ٤٦٢ / ٥ .

(٥) الجامع ٣٩ / ١٠ .

(٦) التفسير ٦٠١ / ٢ .

(٧) البرهان ٤٢ / ٣ . وأتى به منسوباً إلى بعض العلماء : معترك ٤٥١ / ١ . الإتيان ١٧٠ / ٢ .

حمودة ٢٣ . القاضى ٨٥ — ٦ . شحاتة ٢٨٠ . المدخل ٥٠٤ / ١ . قمحاوى ٢٤ / ٣ .

وأهل نسبته الآلوسى لعبد الحميد ٢٤٦ .

(٨) من بلاغة ١٧٠ .

وتبين لنا هذه الجولة أن العلماء انقسموا فريقين : جمهور رأى أن القسم بحياة محمد، وأقلية رجحت أن يكون القسم بحياة لوط، وأن د. يوسف خليف لم يوفق حين صرح بأن الزمخشري انفرد بالرأى الأخير.

وتبين أن من ذهبوا إلى أن القسم بحياة محمد إنما عز عليهم أن يوهب لوط شرف الإقسام بحياته دون محمد، وأنهم تغاضوا عن سياق الآيات، بدعوى وقوع التفات فيها. وغفلوا عن أن تكريم أحد الأنبياء لا ينتقص من مكانة بقيتهم.

وتبين أن من ذهبوا هذا المذهب، أفاضوا في الحديث عما يسبغه عليه هذا القسم من شرف، وبخاصة قول الزركشى الذى أشاعه السيوطى، فرددته الكتب بعده ؛ على حين عنى أصحاب الرأى الآخر بالدفاع عنه، وكادوا يهملون التشریف.

كذلك لم يوفق د. يوسف خليف فى القول بأن أكثر المفسرين يرون أن طه ويس مجرد حروف مقتطعة . ويمكن للقارئ أن يعرف المزيد عن هذه الحروف بالرجوع إلى كتابنا عنها .

والسفت الطوسى إلى القسم برب محمد فى قوله تعالى : ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ
وَالشَّيَاطِينَ﴾ ^(١) ودلالته ، فقال : فى ذلك تشريف للنبي ﷺ ^(٢) . وتنبه على عظم
مترلته عنده ^(٣) .

وأيده الزمخشري فذكر أن فى إقسام الله باسمه — تقدست أسماؤه — مضافا إلى
رسول الله ﷺ تفخيما لشأن رسول الله ^(٤) ، ورفعاً منه ^(٥) ، كما رفع من شأن
السماء والأرض فى قوله : ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ ^(٦) .

وصرح صاحب تفسير المنار : أقسم الله بربوبيته لرسوله ، مخاطبا له فى ذلك
خطاب التكريم . ومن المعهود فى اللغة أن مثل هذا القسم يعد تكريما ^(٧) .

-
- (١) سورة مريم ٦٨ .
(٢) التبيان ١٤ / ٣٥٥ . وأتى به دون نسبة : الطبرسى ١٤ / ٤٥ .
(٣) التبيان ١٤ / ٣٥٥ . وأتى به دون نسبة : الطبرسى ١٤ / ٤٥ .
(٤) الكشف ٣ / ٣٣ . وأتى به دون نسبة : الرازى ٢١ / ٢٠٦ . الآلوسى ١٦ / ١١٨ . وانظر
أبو حيان ٣ / ٢٨٤ .
(٥) مثله .
(٦) سورة الذاريات ٢٣ .
(٧) ٥ / ٢٣٦ .

وصرح محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١ / ١٢٩٢ - ١٣٥٠) : أمر الله نبيه أن يقسم به على الجزاء والمعاد في ثلاث آيات. فقال في الآية الثالثة والخمسين من سورة يونس : ﴿وَيَسْتَنْبِئُكَ أَهَقَّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ وفي الآية الثالثة من سبأ : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ وفي الآية السابعة من التغابن : ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾^(١). وأضاف عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر المعروف بابن كثير (٧٠١ - ٧٧٤ / ١٣٠٢ - ١٣٧٣) أنهن آيات ثلاث لا رابعة هن^(٢).

٣ . محمد وحياته وخيله

وقال ابن العربي : أقسم الله بمحمد فقال : ﴿يَس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ وأقسم بحياته فقال : ﴿لَعْمُرُكَ...﴾ وأقسم بخيله وصهيلها وغبارها وقدر حوافرها النار من الحجر فقال : ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا...﴾ الآيات الخمس^(٣).

٤ . زمانه ومكانه وعمره

وقال الرازي تعليقا على القسم في سورة العصر : أقسم تعالى بزمان ﴿عصر﴾ محمد في هذه الآية ، وبمكانه في سورة البلد ، وبعمره في قوله : ﴿لَعْمُرُكَ...﴾^(٤).

(١) التبيان ١ / ٥٢ ، ٦٤ . وانظر ابن كثير ٣ / ٥٤٨ ، ٤ / ٣٩٧ . إسماعيل ٥٦٤ - ٥ .

(٢) التفسير ٣ / ٥٤٨ .

(٣) القرطبي ٢٠ / ١٥٤ .

(٤) مفاتيح ٣٢ / ٨٢ .

ج . الأشياء

١ . لذاتها

ومن أقدم ما تعرض له العلماء أيضا محاولة تبرير الإقسام بالأشياء، تلك المحاولة التي أثرت لنا ثروة من الأقوال التي لا تزال تتزايد إلى اليوم .

نقل الفضل بن الحسن الطبرسي (٥٤٨ / ١١٥٣) عن مجاهد بن جبر (٢١ — ١٠٤ / ٦٤٢ — ٧٢٢) ومحمد بن السائب الكلبي (١٤٦ / ٧٦٣) أن الله أقسم بالطور لما أودع فيه من أنواع نعمه ^(١) . واتفق معه شهاب الدين محمود ابن عبد الله الآلوسي (١٢١٧ — ١٢٧٠ / ١٨٠٢ — ١٨٥٤) الذي علق على القسم بالعصر قائلا: كأنه — تعالى — يذكر بالقسم به ما فيه من النعم وأضدادها، لتنبية الإنسان المستعد للخسران والسعادة ^(٢) . وقال طنطاوي جوهرى : أقسم بأشياء عددها ، وصنوها من نعم أبدعها، كالشمس والقمر والكواكب ^(٣) .

ونقل الطبري أن قتادة بن دعامة السدوسي (٦١ — ١١٨ / ٦٨٠ — ٧٣٦) كان يذهب إلى أن الله أقسم بها لعظم شأنها عنده ^(٤) .

(١) مجمع ٢٧/٢٦ . وانظر الآلوسي ٢٩٢/٣٠ . عبده ٩٨ . موسى ١٢٦ . إسماعيل ٣٧٠ .

(٢) روح ٣٠ / ٢٩٢ . وانظر موسى ١٢٦ .

(٣) التاج ٩٦ — ٧ .

(٤) جامع ٣٠ / ١٣٩ .

وجعل أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ — ٩٩٥/٤٦٠ — ١٠٦٧) العظمة مبدأ عاما فقال : القسم بالشيء تنبيه أو دليل على عظم شأنه ^(١). ومن ثم علل عدة أقسام بما في المقسم به من عظم الشأن أو جلالته ^(٢).

ورد الزمخشري عظمة بعض ما أقسم الله به إلى أمرين :

• دلالتـه ^(٣).

• منفعتـه ^(٤).

قال : أقسم بالقلم تعظيما له ، لما في خَلْقِه وتسويته من الدلالة على الحكمة العظيمة، ولما فيه من المنافع والفوائد التي لا يحيط بها الوصف ^(٥).

وعاد الطبرسي إلى المبدأ العام، فأعطانا صياغة أخرى له ، قال فيها : في القسم تعظيم للمقسم به ^(٦).

(١) التبيين ١٠ / ٢٥١ ، ٣٥٦ ، ٣٩٦ . وانظر الزمخشري ٣ / ٣٣ ، ١٥٧ / ٢٩ . الطبرسي ٣٠ / ٢٢ ، ١٥١ . القرطبي ١٥ / ١٤٣ . ابن القيم ١ / ٤٥ ، ٢٢٩ . أبو حيان ٨ / ٣٨٤ . ابن كثير ٤ / ٣١٨ . النيسابوري ٣٠ / ٨٥ . معترك ١ / ٤٥٣ . الإتيقان ٢ / ١٧٠ . الشوكاني ٤ / ٥ . عبده ١٣ ، ١٤ ، ١٦ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٨٢ ، ٩١ ، ٩٨ ، ٩٩ . جوهري ٨٤ . الفراهي ٩ ، ١١ — ٢ . حسين ٤٥ . الآلوسي لعبد الحميد ٢٤٨ . شحاتة ٢٨١ . قمحاوي ٣ / ٢٦ .

(٢) التبيين ٩ / ٣٧٧ ، ١٠ / ٢٥١ ، ٣٥٦ ، ٣٩٦ . وانظر الرازي ٣١ / ١٠٥ — ٦ ، ١١٥ ، ٣٢ / ٨١ . ابن القيم ١ / ٥٧ ، ٨٦ — ٧ ، ٨٩ . الشوكاني ٥ / ٢٦٥ . الآلوسي ٣٠ / ١١٠ ، ١٢١ . موسى ١٢٥ . المدخل ١ / ٥٠٥ . رضا ١٦٧ . إسماعيل ٣٧٠ .

(٣) الكشف ٣ / ٥٦٧ ، ٤ / ٥٨٤ . وانظر الطبرسي ٢٣ / ٤٨ . رضا ١٦٧ .

(٤) الكشف ٤ / ٥٨٤ . وانظر الآلوسي لعبد الحميد ٢٤٧ .

(٥) الكشف ٤ / ٥٨٤ .

(٦) مجمع ٢٣ / ٤٨ . وانظر الآلوسي لعبد الحميد ٢٤٨ .

وتعدى ذلك إلى الربط بين العظمة والاعتبار ، فقال : يقسم بخلقه للتنبيه على موضع العبرة فيه، لأن القسم يدل على عظم شأن المقسم به ^(١) .

وعلل بندر الدين محمد بن عبد الله الزركشى (٧٤٥-٧٩٤ / ١٣٤٤-١٣٩٢) الاقسام بما بأن العرب كانت تعظمها وتقسم بها، فترل القرآن على ما يعرفون ^(٢) .

وأتى جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطى (٨٤٩-٩١١ / ١٤٤٥-١٥٠٥) بصيغة ثالثة للمبدأ العام ، قصر فيها المقسم به على المعظمت، فقال : لا يكون القسم إلا باسم معظم ^(٣) .

وجاء د. عبد الله محمود شحاتة بقول مطلق صرح فيه بأن العلماء والمفسرين ذهبوا إلى أن الله أقسم بمخلوقاته لبيان نواحي العظمة فيها وجلال قدرها ^(٤) . ونقل د. فؤاد على رضا قولين بينهما شىء من البعد . قال فى أولهما : إن الله — عندما يقسم بمخلوقاته — فإنما يقصد بقسمه رفعة شأنها ومكانتها، وإعلاء قدرها وقدر خلقها على النحو الذى هى عليه، للدلالة بما على مطلق قدرته ^(٥) .

وصرح فى الثانى بأن القرآن أبان أن عظمة هذه المخلوقات ليست فيها بذاتها، ولا بما حوته ، وإنما بمن صنعها وألزمها ناموسه [قانونه] لا تخرج عنه ^(٦) .

(١) مجمع

(٢) البرهان ٤١ / ٣ . وأتى به غير منسوب : معترك ٤٥١ / ١ . الإتيان ١٧٠ / ٢ . رضا ١٦٧ .

(٣) معترك ٤٥٠ / ١ . الإتيان ١٧٠ / ٢ . القاضى ٨٤ . وانظر جوهري ٨٤ . أمين ٢٣٩ .

(٤) علوم ٢٨١ .

(٥) من علوم ١٦٧ .

(٦) نفسه .

ويتصل بالتعظيم كلمات أخرى ، قد يعبر بها عنه ، نتبعها فيما يلي :
نقل القرطبي عن محمد بن السائب الكلبي (١٤٦ / ٧٦٣) أن الله أقسم بها
لشرفها وفضلها^(١) .

وذكر الزمخشري أن المراد بالأقسام في سورة التين : الإبانة عن شرفها^(٢) .
وخشى الرازي ألا يظهر شرف بعض هذه الأشياء ، فقال ذات مرة : اعلم أن
الإشكال هو أن التين والزيتون ليسا من الأمور الشريفة ، فكيف يليق أن يقسم الله
بهما ؟ وأطال في الجواب في إبانة خواص هذه الثمار والمواضع إلى أن خلاص إلى أن
المراد من القسم — في الحقيقة — تعظيم الأنبياء وإعلاء درجاتهم^(٣) .
وجعل القرطبي الأمر مبدءاً عاماً ، فصرح : إذا أقسم الرب بشيء أثبت له
شرفاً^(٤) .

وروى القرطبي عن الكلبي أن الله أقسم بها لفضلها^(٥) . وذكر أبو القاسم
عبد الكريم بن هوازن القشيري في " كثر اليواقيت " : القسم بالشئ لا يخرج عن
وجهتين :

(١) الجامع ١ / ١٥٦ .

وانظر الزمخشري ٤ / ٧٤٤ . الرازي ٢٨ / ١٦٦ — ٧ ، ٣١ / ١٤٨ ، ١٧٦ . القرطبي ١٧ /
٣٠ ، ٢٠ / ٨١ . أبو حيان ٨ / ٣٧٨ ، ٤٤٧ . ابن القيم ١ / ٢٢٩ . النيسابوري ٣٠ / ٨٣ ،
٨٥ ، ١٥٩ . الشوكاني ٤ / ٤٠٥ ، ٥ / ٩٤ . جوهرى ٩٧ . الفراهي ٩ .

(٢) الكشف ٤ / ٧٧ .

(٣) مفاتيح ٣٢ / ٩ . الفراهي ٩ .

(٤) الجامع ١٧ / ٣٠ .

(٥) الجامع ١ / ١٥٦ . الآلوسی ٣٠ / ٢٩١ .

وانظر الزمخشري ٤ / ٧٩٣ . الطبرسي ٣٠ / ١٧٨ . ابن الجوزي ٩ / ١٦٩ . الرازي
٣١ / ١٤٨ ، ١٦٣ ، ١٨٩ ، ٣٢ / ٦١ . القرطبي ١٧ / ٢٢٣ . أبو حيان ٨ / ٥٠٩ =

إما لفضيلته كقوله : ﴿ وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ ^(١) .

أو لمنفعة كقوله : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ ^(٢) .

وجعل القرطبي القسم تنبيها على الفضل ^(٣) . وأتى محمد بن علي الشوكاني

(١١٧٣-١٢٥٠ / ١٧٦٠-١٨٣٤) بالأمر في صورة قاعدة عامة ، فقال :

ما من شيء أقسم الله به إلا وفي ذلك دلالة على فضله على جنسه ^(٤) .

وعلل الطوسي الإقسام بهذه الأشياء مرة بعظم النفع أو الفائدة فيها ^(٥) ،

وهداية النفوس إلى تدبير مصالحها ^(٦) ؛ وأخرى بالتنبيه على كثرة الانتفاع بها ^(٧) .

= ابن القيم ٨٧/١ . الزركشي ٤٢/٣ . معترك ٤٥٢/١ . الإتيان ١٧٠/٢ . الشوكاني

٢٦٥/٥ . الألوسي ٢٦/٢٧ . حسين ٤٦ .

(١) سورة التين ٢، ٣ .

(٢) سورة التين ١ . الزركشي ٤٢/٣ . معترك ٤٥١/١ - ٢ . الإتيان ١٧٠/٢ .

(٣) الجامع ١٧ / ٢٢٣ .

(٤) فتح ٣ / ١٤٠ .

(٥) التبيان ٩ / ٣٧٧ ، ٥٠٦ ، ٣٥٦/١٠ .

وانظر الطبرسي ٧/٢٧ ، ٢٦ ، ٢٢/٢٩ ، ١٥١/٣٠ ، ١٧٨ . ابن الجوزي ١٢٦/٩ .

الرازي ١٤٧/٣١ ، ١٧١ ، ٣٢ / ٦١ . الزركشي ٤٢ / ٣ . معترك ٤٥١ / ١ - ٢ .

الإتيان ١٧٠/٢ . النيسابوري ٨٣ / ٣ . جوهرى ٩٦ . إسماعيل ٣٦٤ .

(٦) التبيان ٩ / ٣٧٧ .

وانظر الرازي ٣١ / ١٧٢ .

(٧) التبيان ١٠ / ٣٥٦ .

وانظر الطبرسي ٧/٢٧ ، ٢٦ . ١٥١/٣٠ ، ١٧٨ . ابن الجوزي ١٢٦/٩ .

عبد ١٤ ، ٥٩ ، ٩٩ ، ١٢٣ .

وسبق أن رأينا القشيري والزمخشري يجعلان مجرد المنفعة أحد علتي الإقسام بها^(١).

وقال الرازي : اعلم أنه — تعالى — ينبه عباده دائما بأن يذكر في القسم أنواع مخلوقاته المتضمنة للمنافع العظيمة ، حتى يتأمل المكلف فيها ، ويشكر عليها^(٢).

وعلاها أكثر من مرة بما فيها من منافع الدنيا والدين^(٣). ثم شرح هذه المنافع ووضعها في قاعدة عامة ، نصها : اعلم أن هذه الأشياء التي أقسم الله بها لا بد أن يكون فيها إما فائدة دينية مثل كونها دلائل باهرة على التوحيد ، أو فائدة دنيوية توجب بعثا على الشكر أو مجموعهما^(٤).

وذهب القرطبي إلى أن القسم بهذه الأشياء تكربة لها^(٥).

وأتى د . محمد محمد أبو شعبة بالأمر في صورة قاعدة عامة ، فقال : قد يكون القسم لمثلته وإظهار كرامته عند الله^(٦).

وقال ابن القيم : قال جماعة من المفسرين : أقسم الله بالتين والزيتون لمكان العزة فيهما^(٧).

(١) الزركشى ٤٢ / ٣ . معترك ١ / ٤٥١ — ٢ . الإلتقان ٩ / ١٧٠ . وانظر عبده ١٣ ، ١٠٠ .

(٢) مفاتيح ٣١ / ١٧١ . الفراهي ٨ ، ٤٣ .

(٣) مفاتيح ٣١ / ١٤٧ ، ٣٢ / ٦١ .

وانظر النيسابوري ٣٠ / ٨٣ .

(٤) مفاتيح ٣١ / ١٤٧ .

(٥) الجامع ٢٠ / ٨١ . وانظر الشوكاني ٥ / ٩٤ . أبو شعبة ٢٤٨ .

(٦) المدخل ٢٤٨ .

(٧) التبيان ١ / ١١١ . أمين ٢٤١ . وانظر جوهرى ٩٧ .

وقال طنطاوى جوهرى : أقسم الله بهذه الأشياء إذ رأى نوع الإنسان يقسم بما عز عليه ^(١) .

وخرج عن هذا المجرى العام اثنان ، دافع كل منهما عن رأيه دفاعا مستفيضا ، وهما المعلم عبد الحميد الفراهى والدكتورة عائشة عبد الرحمن .

أما الفراهى فقد جاهر فى مقدمة كتابه بأنه ألفه من أجل ثلاثة مقاصد، كان الأول منها إبطال الظن بأن القسم مشتمل على تعظيم المقسم به لا محالة ، ذلك الظن الباطل الذى صار حجابا على فهم أقسام القرآن، ومنشأ للشبهات ^(٢) .

فأصل القسم — عنده — ليس فى شىء من التعظيم ^(٣) . واستدل على ذلك

بما يلى :

- القسم لا يلزمه المقسم به فضلا عن تعظيمه ^(٤) .
- للقسم كلمات ليست فى شىء من تعظيم المقسم به ^(٥) .
- ربما أقسم القرآن بما ليس فيه شرف ، وما ليس من الجلالة بحيث يقسم بها خالقها، إن كان الإقسام بها لأجل شرفها ^(٦) .
- التعظيم من عوارض القسم ^(٧) .

(١) ————— التاج ٩٧ .

(٢) إمعان ١٢ — ٤ ، ٢١ ، ١٢٨ — ٩ .

(٣) إمعان ١٣ ، ٢١ .

(٤) إمعان ٢٠ ، ٢١ .

(٥) إمعان ٢١ .

(٦) إمعان ٥ ، ٦ .

(٧) إمعان ٢٣ .

وكشف عن السبب فيما وصفه بالظن الباطل، فقال : وإذ كانت الشهادة بالله أكبر الشهادات، كثر القسم بها . ولذلك ظن من قل التفاته إلى أساليب الكلام وفنون بلاغته أن الإشهاد لا يكون إلا بالمعبود ، وعلى جهة التعظيم ^(١) .

وخلص إلى أن القسم نوعان متباينان :

• أقسام بصفات الله .

• وأقسام بالمخلوقات .

ولا يراد التعظيم من القسم إلا إذا كان بالله وشعائره . أما القسم بالمخلوقات فليس إلا لكونها آيات دالة ^(٢) .

كما خُصص إلى أن في أسلوب القسم خصوصية تشبه ما في بعض الأساليب الأخرى، كما نرى — مثلا — تأكيد الإثبات والإنكار بأسلوب الاستفهام أو التعجب ، في أكثر الألسنة ، أو تأكيد التعجب بالنداء ^(٣) .

وأعتقد أنه وقف هذا الموقف ، لأنه خلط بين التعظيم والتقديس والعبادة . نستنبط ذلك من قوله : المقسم به في هذه الأقسام — وإن كان عند المتكلم كريما ومضنونا به — لكنه لا يكون مما يعبد ويقدسه ، وأمثال هذا القول ^(٤) .

(١) إمعان ٣٣ . أمين ٢٤١ .

(٢) إمعان ١٣ ، ٢١ وانظر الرازي لعبد الحميد ٢٥٤ .

(٣) إمعان ٢٥ ، ٣٣ .

(٤) إمعان ٢٥ ، ٣٣ .

وأما الدكتور عائشة عبد الرحمن فقد أعلنت أن جمهرة المفسرين اتجهوا بالأقسام إلى تعظيم المقسم به ثم مضوا يلتمسون وجه هذه العظمة . وأكثر ما ذكروه يدخل في الحكمة ، وهي تختلف تماما عن العظمة . فما من شيء في الكون خلق عبثا . وكل ما خلقه الله ، خلقه لحكمة ظاهرة لنا أو خفية علينا . أما العظمة فلا يهون القول بها مجرد لمح وجه لظاهر الحكمة في المقسم به . ثم إنهم لم يراعوا القيد في المقسم به . واضطربوا كذلك في ربط القسم بهذه الواو بجواب قسمه . فأين الصلة بين عظمة العاديات ضبحا ، وبين كنود الإنسان لربه ، وبعثرة ما في القبور ؟ ^(١) .

وأخيرا خلصت إلى ما يشبه ما خلص إليه الفراهي . فقد صرحت : الذي اطمأننت إليه — بعد طول التدبير للسياق — هو أن الواو في هذا الأسلوب قد خرجت عن أصل معناها اللغوي الأول في القسم للتعظيم ، إلى معنى بلاغي ^(٢) .

(١) الإعجاز ٤٢٦ — ٧ .

(٢) الإعجاز ٢٣٠ ، ٢٣٤ .

٢ . دلالاتها

وروى أبو حيان عن قتادة قولاً ثانياً ، صرح فيه بأنه — سبحانه — أقسم بالعصر — كما أقسم بالضحى — لما فيهما من دلائل القدرة ^(١) .

ووجهه من استحسّن أبو عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه (٣٧٠ / ٩٨٠) قوله الدلالة إلى وجود الله ، حين قال : أقسم بمصنوعاته لأنها تدل على باري صانع ^(٢) .

ووجهها الطوسي إلى عظمة الله ، فقال : إنما جاز أن يقسم بهذه الأشياء لأنها تنبئ عن تعظيمه بما فيها من القدرة الدالة على ربها ^(٣) .

(١) البحر ٥٠٩/٨ . الآلوسی ٢٩٢ / ٣٠ . وأنى به غير منسوب : الزمخشري ٧٩٤ / ٤ .
الـرازي ١٦٧ / ٢٨ . ٨١ / ٣٢ . وانظر الطبرسي ٧ / ٢٧ . ابن الجوزي ٢٨ / ٨ .
أبو حيان ٣٧٨ / ٨ ، ٤٥٤ . ابن القيم ٧٠ / ١ . ابن كثير ٢٥٥ / ٤ . عبده ٣٤ .
بدوي ١٧١ — ٢ . الغمراوي ٢٣٣ . الكرداني ٣١ . دفتردار ٢٨٢ . المدخل ٥٠١ / ١ .
رضا ١٦٧ . السامرائي ٥٦ . إسماعيل ٣٦٦ .

(٢) الزركشي ٤٢ / ٣ . وانظر ابن أبي الإصبع ١١١ . ابن القيم ٤٥ / ١ ، ٧٠ . معترك ٤٥١ / ١ ،
٤٥٣ . الإتيان ١٧٠ / ٢ . الفراهي ١٠ ، ١٢ . موسى ١٢٥ — ٦ . بدوي ١٧٠ .
القطان ٣٠٢ . الآلوسی لعبد الحميد ٢٤٦ . أبو شهبة ٢٤٧ . أمين ٢٤٠ — ١ .
القاضي ٨٥ . الغمراوي ٢٣٣ . شحاتة ٢٧٩ . المدخل ٥٠٣ / ١ .
قمحاوي ٢٤ / ٣ — ١٠٦ . العمرى ٢٤٦ . رضا ١٦٧ .

(٣) البيان ٤٤١ / ٨ . وانظر بدوي ١٧٢ . موسى ١٢٥ — ٦ . أمين ٢٤٣ . الغمراوي ٢٣٣ .
المدخل ٥٠١ / ١ . السامرائي ٥٦ .

وصرح الطبرسى مرة بأنه إنما جاز أن يقسم الله بها لما فيها من الدلالة على توحيده^(١)، وصفاته العلى^(٢)؛ ومرة لما تتضمنه من بدائع صنعه^(٣).

وأتى الرازى بقاعدة عامة قال فيها : الأيمان التى حلف الله بها كلها دلائل أخرجها فى صورة الأيمان . مثاله قول القائل للمنعم عليه : وحق نعمك الكثيرة، إني لا أزال أشكرك . فيذكر النعم — وهى سبب مفيد لدوام الشكر — ويسلك مسلك القسم .

وتوهم من قد يسأل : فلم أخرجها مخرج الأيمان ؟

وأجاب : لأن المتكلم — إذا شرع فى أول كلامه بحلف ، يعلم السامع أنه يريد أن يتكلم بكلام عظيم ، فيصغى إليه أكثر من أن يصغى إليه حيث يعلم أن الكلام ليس بمعتبر، فبدأ بالحلف ، وأدرج الدليل فى صورة اليمين ، حتى أقبل القوم على سماعه . فخرج لهم البرهان البين ، والتبيان المتين ، فى صورة اليمين^(٤).

وصاغ عبد العظيم بن عبد الواحد المعروف بابن أبى الإصبع (٥٩٥ — ٦٥٤ / ١١٩٨ — ١٢٥٦) القول الذى استحسنته ابن خالويه فى عبارة شاعت فى الكتب بعده، قال : القسم بالمصنوعات يستلزم القسم بالصانع ، لأن ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل، إذ يستحيل وجود مفعول بغير فاعل^(٥).

(١) مجمع ٢٣ / ٤٨ ، ٧ / ٢٧ . وانظر الرازى ٣١ / ١٤٧ ، ١٥٠ . ابن القيم ١ / ٧٠ ، ٧٧ .

(٢) مجمع ٢٣ / ٤٨ . وانظر ابن القيم ١ / ٤٥ . دفتر دار ٢٨٢ .

(٣) مجمع ٢٧ / ٧ . وانظر ابن الجوزى ٨ / ٢٨ . عبده ١٤ ، ٣٤ . أبو شهبه ٢٤٧ .

(٤) مفاتيح ٢٨ / ١٦٧ — الفراهى ٨ .

(٥) الخواطر ١١١ . معترك ١ / ٤٥١ ، ٤٥٣ . الإتيقان ٢ / ١٧٠ . شحاتة ٢٧٩ .

قمحاوى ٢٤ / ٣ — ٦ . وانظر ابن القيم ١ / ٤٥ . الفراهى ١٠ / ١٢ . القطان ٣٠٢ .

الآلوسى لعبد الحميد . القاضى ٨٥ . أمين ٢٤٠ — ١ . العمرى ٢٤٦ . رضا ١٦٧ .

ورد الطوسى أيضا الإقسام بها إلى ما فيها من العبرة ^(١) ، أو للتنبيه على موضع العبرة فيها ^(٢) ، أو لتعظيم ما فيها من العبرة ^(٣) ، والطبرى إلى أن فيها أعظم عبرة ^(٤) ، وأبو حيان إلى التعريض للاعتبار بها ^(٥) .

وأعلن الزمخشري أن الله أقسم بالتين والزيتون لأتهما عجيبان من بين أصناف الأشجار المثمرة ^(٦) .

وقال الطبرى : أقسم بالقمر لما فيه من الآيات العجبية فى طلوعه وغروبه ومسيره وزيادته ونقصانه ^(٧) .

وذهب الرازى إلى أن الله أقسم بها لما فيها من حالة عجيبة ، وأسرار عظيمة باهرة ، أو لما فيها من عجب الصنعة ، أو لما فيها من الآثار العجيبة ^(٨) .

(١) التبيان ٣٧٧/٩ ، ٥٠٦ ، ١٠ / ٢٥١ ، ٣٤١ ، ٣٥٦ ، ٣٦٢ . وانظر الطبرى ٢٢/٣٠ ،

١٧٨ ، ٢٢٦ . أبو حيان ٤٤٧/٨ . إسماعيل ٣٦٣ - ٤ .

(٢) التبيان ١٠ / ٢٥١ ، ٣٤١ ، ٣٦٢ . وانظر الطبرى ٢٢ / ٣٠ . عبده ١٣ .

الغمرائى ٢٣٣ . الكردانى ٣١ . إسماعيل ٣٦٣ ، ٣٧٠ .

(٣) التبيان ٣٧٧/٩ . وانظر الطبرى ٣٠ / ١٧٨ .

(٤) مجمع ٣٠ / ١٧٨ .

(٥) البحر ٨ / ٤٤٧ .

(٦) الكشف ٤ / ٧٧٣ ، ٧٩٤ . وانظر الطبرى ١١٦/٢٩ . الرازى ٣١ / ٦٦ ، ١٠٤ ، ١١٥ ،

١١٥ . أبو حيان ٣٧٨/٨ .

(٧) مجمع ١١٦ / ٢٩ . وانظر الرازى ٣١ / ١١٥ .

(٨) مفاتيح ٣١ / ٦٦ ، ١٠٤ ، ١٥٠ .

وجعل أبو حيان القسم بها تنبيها على ما يظهر بها وفيها من عجائب الله^(١) .
ورأى د . محمد محمد أبوشهبة أن القسم بهذه الأشياء تنبيه إلى ما تنطوى عليه
من أسرار وعجائب نعم وآلاء . فيؤدى النظر فيها إلى الإيمان بخالقها وموجدتها،
والإذعان لما جاء به الرسول^(٢) .

ويتصل بالعجائب والأسرار الدعوة إلى التأمل . ذكر الرازى أن الهدف أن
يتأمل المكلف فيها ، لأن الذى يقسم الله به يحصل له وقع فى القلب، فتكون
الدواعى إلى تأمله أقوى^(٣) .

وقال د . محمد أحمد الغمراوى : إذا أقسم الله فى كتابه بالليل والصبح
والضحى والنهار، أفلا يكون فى هذا أكبر داع لهم أن يتأملوها، ويتساءلوا: ماذا
أودع الله فيها من مجالى حكمته ، ومظاهر عظمته وقدرته ، حتى استحقت أن يقسم
لعباده بها، وهو خالقهم وخالقها^(٤) ؟

وقال د . محمد بكر إسماعيل : فى طيات القسم مجالات رحبة للتأمل والنظر،
ولطائف خفية يكتشفها المؤمن بنور بصيرته . فيزداد بها يقينا، يسمو به إلى مراتب
العارفين برهم^(٥) .

(١) البحر ٣٧٨ / ٨ .

(٢) المدخل ٢٤٧ .

(٣) مفاتيح ٣١ / ١٧١ . وانظر حمودة ٢٣ . طنطاوى ٩٦ — ٨ . بدوى ١٧٠ . الغمراوى

٢٣٣ . الكردانى ٣١ . دفتر دار ٢٨٢ — ٣ . إسماعيل ٣٦٣ ، ٣٧٠ .

(٤) الإسلام ٢٣٣ . الكردانى ٣١ .

(٥) دراسات ٣٦٣ ، ٣٧٠ .

وقال أبو حيان : أقسم الله بالطارق لما علم فيه من لطيف الحكمة، وتنبيهها على ذلك ^(١) .

وأضاف ابن القيم أن الله أقسم بصنعبه لدلالته على كمال علمه وحكمته ^(٢) .
وخشى جماعة من العلماء أن تعلق بالأقسام بعض الأوهام ، فبادروا إلى إنكارها.

قال محمد عبده ما خلاصته في تفسير التين والزيتون : قد يرجح أنهما النوعان من الشجر. ولكن لا لفوائدهما كما ذكروا، بل لما يذكران به من الحوادث العظيمة التي لها الآثار الباقية في أحوال البشر. قال صاحب هذا القول: إن الله أراد أن يذكرنا بأربعة فصول من كتاب الإنسانية الطويل، من أول نشأته إلى يوم بعثه النبي ﷺ فالتين إشارة إلى عهد الإنسان الأول ، فإنه كان يستظل في تلك الجنة التي كان فيها بورك التين .

والزيتون إشارة إلى عهد نوح ، فقد أرسل بعض الطيور ، لعله يأتي بخبر انكشاف الماء عن الأرض، فغاب ولم يأت بخبر. ثم أرسل آخر، فجاء إليه يحمل ورقة من الزيتون. فاستبشر وسر، وعرف أن غضب الله قد سكن، وقد أذن للأرض أن تعمر.

وطور سنين إشارة إلى عهد الشريعة الموسوية، وظهور نور التوحيد في العالم ، بعد ما تدنست جوانب الأرض بالوثنية .

ثم لما طال الأمد على البشرية حتى كادت أن تطمس معالم التوحيد والحق والشرائع، من الله على البشر ببداية تاريخ ينسخ جميع تلك التواريخ، ويفصل بين

(١) البحر ٨ / ٤٥٤ . وانظر عبده ٥٩ ، ٩٩ . العمراوى ٢٣٣ . الكرداني ٢٢ .

(٢) التبيان ٧٠ / ١ .

ما سبق من أطوار الإنسانية وبين ما يلحق ، وهو عهد ظهور النور الحمدي من مكة المكرمة. وإليه الإشارة بذكر البلد الأمين^(١).

وقال طنطاوى جوهرى : لم يكن إقسام الله بهذه الأشياء لخوفه منها . فإنه الخالق، لن يهاب ما خلق ، ولن يحتاج لما ذرأ وأبدع . ولم يُرد أن يعبدوها ، إذ لا إله إلا الله .

ولم يكن ذلك لتحريضهم على الحصول عليها وحوزها، فذلك مستحيل^(٢). وافتتح عبد الحميد الفراهى كتابه بإعلان أن المقصد الثانى منه إبانة أن أقسام القرآن بالمخلوقات ليست إلا آيات دالة^(٣)، وأنه يعد ذلك أحسن الأقوال^(٤). وفى أثناء الكتاب أعلن أنه لم يطمئن لهذا رأى إلا بعد أن تأمل فى جميع أقسام القرآن، ولم يدلّه عليه إلا القرآن نفسه من وجوه عدة^(٥).

وتوهم أن يعارضه معارض قائلا : هب أن أصل القسم هو الإشهاد ، ولكنه لكثرة استعماله للتعظيم صار كالمقول، وصار أصله كالمذهول عنه، فلا يصار إلى الأصل إلا بدليل واضح بين .

وأجاب : سلمنا ولكننا لم نذهب إلى هذا المعنى الخاص لأقسام القرآن إلا بدلالة القرآن من وجوه كثيرة ، دونك بيانها :

(١) تفسير جزء عم ١٢٣ . موسى ١٢٦ . أبو شهبة ٢٤٧ - ٨ . وانظر جوهرى ٩٧ .

(٢) التاج ٩٧ .

(٣) إمعان ١٣ .

(٤) نفسه .

(٥) إمعان ٤٦ .

الأول : سنة القرآن في استعمال بعض الكلمات مرة لله وأخرى للعبد .
وحينئذ يميز بين وجوها حتى لا يكون مخالفا لجلالة ربنا ، مثل كلمة الصلاة : فإنها
الرحمة من الله ، والدعاء من العبد .

الثاني : حمل النظر ، وتفسير الآيات ببعض . فإنك ترى القرآن يذكر الأمور
الدالة تارة على أسلوب القسم بها ، وأخرى على أسلوب الآية والعبرة ، وكلها
إشهاد لمن يتفكر فيها ^(١) .

الثالث : دلالة المقسم به نفسه . فالعقل لا يتوهم أن الله يضع مخلوقاته
موضع المعبود المقدس ^(٢) .

الرابع : المناسبة الظاهرة بين المقسم به والمقسم عليه . فإن القرآن وضع أكثر
هذه الأقسام بحيث لا تخفى على العاقل جهة دلالتها على ما أقسم عليه .

الخامس : تعميم المقسم به على طريق تعميم الآيات الدالة ، كما
قال : ﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴾ ^(٣) فلم يترك شيئا إلا وقد أقسم
به ، كما قال : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ ^(٤) فلم يترك شيئا إلا وقد أنطقه
بحمده وأشهد به بمجده . ويشبه هذا التعميم استعمال المتقابلين ، حيث أقسم بالليل
والنهار ، والأرض والسماء . فكيف يظن أن الله عظم كل شيء . والسبيل إلى جعله
آية دالة ظاهرة ، فلا يصار إلا إليه ^(٥) ؟ .

(١) إمعان ٤١ — ٢ .

(٢) إمعان ٤٢ . أمين ٢٤٣ .

(٣) سورة الحاقة ٣٨ — ٩ .

(٤) سورة الإسراء ٤٤ .

(٥) إمعان ٤٣ .

السادس : ما يتبع المقسم به من التنبيه على كون المقسم به دليلاً للعقلاء كما قال : ﴿وَالْفَجْرِ* وَلَيَالٍ عَشْرٍ* وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ* وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ* هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ﴾ ^(١) فهذه الجملة الأخيرة مثل ما تجد كثيراً في القرآن بعد ذكر الدلائل ، كما جاء في الآية ٦٧ من سورة النحل : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ^(٢).

السابع : ذكر المقسم به على صفة خاصة تشير إلى جهة الاستدلال ، كقوله : ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ ^(٣).

الثامن : ما يسبق المقسم به من صريح ذكر الآيات الدالة ثم التعبير عن المقسم به على وجه يشير إلى تلك الآيات ، كأنه مهد — من قبل — لما أريد من وجه الاستدلال . ومثل لذلك بسورة الذاريات ^(٤).

ثم تساءل فقال : فإن سأل سائل : كيف خفى الصواب على العلماء أم كيف يطمئن القلب بهذا القول المبتدع ؟ وأجاب بما يلي :

هذا المعنى للقسم ليس ببدع . بيد أنه خفى عليهم بعض وجوهه ومعانيه ، فلم يتمسكوا به كل التمسك : فإما تركوه في بعض المواضع ، وإما خلطوا به معنى آخر .

ولنذكر هنا بعض أسباب الخفاء ليظهر عذرهم :

(١) سورة الفجر ١ — ٥ .

(٢) إمعان ٤٣ . أمين ٢٤٣ .

(٣) سورة النجم ١ .

(٤) إمعان ٤١ — ٤ .

الأول : كون المقسم به — فى بعض المواقع — نفسه شريفاً، مثل القرآن والطور ومكة، فلم يحتاجوا إلى جعل الإقسام به استدلالاً، وظنوا أن القسم بالشريف العظيم عام شائع. وإذا وجدوا المقسم به ذا احتمالات ، أخذوا منها ما يشبه بالشرف .

الثانى : كون الحكماء نُجعتهم الأمور الكلية . فلا يعجبهم رأى ينخرم بعض جوانبه . ووجه الدلالة فى بعض الأقسام كان خفياً. فلما لم يتبين لهم، زعموا أن هذه الكلية لا تصح ها هنا. وبخاصة أن ليس من دأب أكثرهم الإقرار بالعجز وتحويل العلم إلى الله .

الثالث : لما وجد الأولون القسم بالله وشعائره شائعاً، غلب على ظنهم أن ذلك هو الأصل. فإذا وجدوا القسم بغيره، جعلوه مجازاً . ثم رأوا أن المجاز لا يصار إليه إلا إذا تعذرت الحقيقة. ولكن محض الكثرة ليس دليل الأصالة، ولا المصير إلى المجاز مشروطاً بتعذر الحقيقة. بل الصواب أن تأخذ من المعانى ما هو أحسن وأحرى وأشبه بالسياق، وماله نظائر فى باقى السياق. فلما جعلوا الفرع أصلاً، خفى عليهم حقيقة معنى القسم بالشىء.

الرابع : شهرة بعض أمور — ذات وجوه — على وجه خاص . فمهما كانت المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه منوطة ببعض هذه الوجوه، خفى وجه الاستدلال على من خفى عليه ذلك الوجه .

الخامس : انشغال علمائنا بالعلوم العقلية والنقلية المشهورة عن علوم أكبر منها نفعا فى التفسير، أعنى علم لسان أوحى به إلينا وإلى من قبلنا وتاريخ هذه الأمم السامية وعلومهم وآدابهم ^(١) .

(١) إمعان ٤٥ — ٧ .

ووقف الفراهي أمام السؤال الذي وقف أمامه الرازي وأجاب عنه قارئة
قائلا : لعلك تقول: إن كانت هذه الأقسام دلائل لا غير ، فلم لم تذكر على
أسلوب الاحتجاج الصريح ؟ .

وكان جوابه : اعلم أن الاستدلال — إذا كان على أمور لا تتعلق بها
[العواطف من] الرغبة والتفرة ، مثل ما ترى في العلوم الطبيعية والرياضية أو في
تاريخ الأولين على الأكثر — كان ذكر الأدلة فيها أولى بالتصريح .

أما إذا استدللنا على أمور نفسانية، يتصادم فيها من القائل والسامع حث
واستنكار، وزجر واستكبار، وإلحاح وإصرار، احتجنا إلى إيراد الأدلة على وجوه
مختلفة من أساليب الكلام، متفاوتة في الوضاحة واللطافة، والقوة والحدة .

وربما تبدل الأسلوب لمحض اجتناب ملال السامع أو رجاء أن ينجح فيه بعض
الأساليب أكثر من بعض، كما صرح القرآن : ﴿انْظُرْ كَيْفُ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ
يَفْقَهُونَ﴾ ^(١) ، وكما فعل إبراهيم مع الذي حاجه في ربه. فترك الإصرار على
الدليل الأول حين لم يفهمه الخصم، وعمد إلى دليل آخر أقرب إلى فهمه
﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ ^(٢) . فهذه جملة الجواب ^(٣) .

وأخيرا ناظر الفراهي بين أسلوب القسم وبعض الأساليب الأخرى التي نص
النحويون والبلاغيون على خروجها عن معانيها الأصلية إلى معان أخرى، فقال :
يدل القسم على إظهار التأكيد والجد في القول، كما ترى في قول المرسلين من
النصارى حيث جاء في القرآن : ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ * وَمَا عَلَيْنَا

(١) سورة الأنعام ٦٥ .

(٢) سورة البقرة ٢٥٨ .

(٣) إمعان ٤٨ .

إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ»^(١) أو كما ترى في قوله : «وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ * وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ * إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ * وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ»^(٢) وقد صرح في المثالين المذكورين ، وذلك لخصوصية في أسلوب القسم لا لأن فيه تعظيما ، كما ترى تأكيد الإثبات والإنكار بأسلوب الاستفهام أو التعجب في أكثر الألسنة ، أو تأكيد التعجب بالنداء كقولك : يا للماء ، و :

* يالقومي للشباب المبكر^(٣) *

ونظرت د. عائشة عبد الرحمن في الواو المدووعة بها آيات الأقسام، في ضوء ما تعرف من أن الأصل فيها أن تأتي في درج الكلام للربط والعطف، فإذا جاءت للقسم فإن لها الصدارة في مقام التوثيق لما يسبق إنكاره أو الإقرار والشهادة .

فوجدت أن ليس في القرآن " والله " قسما غير قسم المشركين في آيتي الأنعام، ووجدت القسم بـ " رب " في أربع آيات . والواو في كل هذه الآيات في درج الكلام ، وليست في مستهل السورة أو الآية، فإذا وقعت في أول الآية كانت مسبوقة بالفاء أو فلا ، والقسم فيها على وجهه من التأكيد والتقرير .

ووجدت المفسرين والبلاغيين قنعوا بأنها لإعظام ما تلاها، وحملوا الآيات من التأويلات الفلسفية والإشارية ما لا نتصور أن هذه الواو يمكن أن تحمله من قريب أو بعيد .

من هنا كان وقوفها أمام هذه الظاهرة الأسلوبية في البيان القرآني ، لعلها تجتلي من سرها البياني، ما تضيفه إلى فكرة الإعظام التي سيطرت وحدها على كل من قرأت لهم من المفسرين والبلاغيين .

(١) سورة يس ١٦ — ٧ .

(٢) سورة الطارق ١١ — ٤ .

(٣) إمعان ٤٨ — ٩ . وانظر فصل البلاغة والإعجاز .

والذى اطمأنت إليه — بعد طول التدبر لسياق الواو فى الآيات المستهلة بها — هو أن هذه الواو قد خرجت عن أصل معناها اللغوى الأول فى القسم للتعظيم، إلى معنى بلاغى ، هو اللفت — بإثارة بالغة — إلى حسيات مدركة لا تحتمل أن تكون موضع جدل ومماراة، توطئة إيضاحية لبيان معنويات يُمارى فيها ، أو تقرير غيبات لا تقع فى نطاق الحسيات والمدركات. وهذا البيان للمعنوى بالحس، هو مدار استعمال البيان القرآنى، وهو الذى يمكن أن يعرض على الآيات المستهلة بواو القسم، فتقبله دون تكلف فى التأويل أو اعتساف الملحظ^(١) .

وقوة اللفت فى مثل هذا الأسلوب تأتى من العدول بالواو عن موضعها المألوف فى درج الكلام ، فتثير أقصى التنبه .

ولعل السلف الصالح من المفسرين، ما فاقم هذا الملحظ البيانى إلا لأن علماء البلاغة قد عرفوا خروج الخبر والاستفهام والأمر والنهى عن معانيها الأولى فى أصل اللغة ، إلى معان بلاغية نصوا عليها فى كتب البلاغة المدرسية . ثم لم يشيروا إلى خروج القسم عن معناه الأول . فكان ما كان من اعتساف التأويل للآيات المبدوءة بواو القسم ، لتظل كما أراد لها علماء البلاغة ، على أصل معناها اللغوى ، لا تخرج عنه إلى معنى بلاغى^(٢) .

وانفرد بعض العلماء بذكر علل للأقسام لم تتكرر عند غيرهم من مراجعى مثال ذلك قول الطوسى : إن الله أقسم بهذه الأشياء لما فيها من اللطف^(٣) ، وقول

(١) الإعجاز ٢٢٦ — ٣٠ .

(٢) الإعجاز ٢٣٣ — ٤ .

(٣) البيان ٩ / ٣٧٧ .

الطبرسى : لبركتها^(١) ، وقول الرازى : لإيجاب الشكر على الناس^(٢) ، وقول أبى حيان : التنبيه على كونها قوام الوجود^(٣) ، وقول الآلوسى : لإرهاب المنكرين^(٤) ، وقول محمد عبده : لتقرير وجودها فى عقل من ينكرها ، أو لقلب الاعتقاد فى قلب من أضله الوهم أو خانه الفهم ، أو لتفريع من خصها بالعبادة^(٥) ، وقول طنطاوى جوهرى : للاحث على العمل الصالح^(٦) ، وقول د . أحمد أحمد بدوى : لإثارة العاطفة الوطنية التى تدفع إلى تقديس الوطن^(٧) ، وقول د . محمد بكر إسماعيل : للتحذير من شرها^(٨) . والحق إنه لا يمكن حصر ما قالوا من علل حصرها شاملا ، وبخاصة إذا تتبعنا الأقسام واحدا بعد واحد .

وتكشف هذه الجولة أننا يمكن أن نجمع كل الأقوال التى قيلت فى تعليل إقسام القرآن بالأشياء فى علتين عامتين : العظمة والدلالة . ونذهب إلى أن العظمة تجمع الشرف والعزة والفضل والنفع وما إليها . ونضع تحت اسم الدلالة كل ما أشارت إليه من وجود الله الخالق لهذه الأشياء وصفاته .

(١) مجمع ٢٧ / ٢٦ .

(٢) مفاتيح ٣١ / ١٤٧ ، ١٧١ .

(٣) البحر ٨ / ٣٧٨ .

(٤) روح : ٣٠ / ١١٠ .

(٥) جزء عم ١٣ ، ٣٤ ، ١٢٣ . وانظر موسى ١٢٥ - ٦ .

(٦) بلاغة ٤٦ .

(٧) من بلاغة ١٧٢ .

(٨) دراسات ٣٧٠ .

وتكشف أيضا أن القدماء لم يجدوا أدنى تعارض بين العلتين العامتين، اللتين ذكرتهما. ولذلك جمع بعضهم بينهما في القسم الواحد، ورد بعضهم عظمة بعض الأشياء إلى كونها دالة على إحدى صفات الخالق .

ويؤدي بنا هذا إلى أن نعرف أن الفراهي أخطأ حين فرق بين العلتين، وخلط بين التعظيم والتقديس، وظن أن الرازي انفرد بالقول بالتعظيم . وكال له — من أجل ذلك — التهم دون وجه حق ، لأن الرازي قال بالعلتين كليهما .

وتكشف أن الفراهي وده عائشة عبد الرحمن سارا في طريق واحد، وأن العلميين والقائلين بالإعجاز العلمي من المحدثين عنوا بعلة الدلالة على حساب علة العظمة .

٣ . تقدير مضاف محذوف

نقل الطبرى أن معنى القسم فى أمثال سورتن الطور والتتن على مذهب مالك ابن أنس (٩٣ — ٧١٢/١٧٩ — ٧٩٥) : ورب الكتاب المسطور، وخالق التتن والزيتون^(١).

ونقل الطوسى أن أبا على محمد بن عبد الوهاب الجبائى (٢٣٥ — ٣٠٣/ ٨٤٩ — ٩١٦) قال : القسم فى كل ما ذكر فى القرآن من المخلوقات، إنما هو قسم بربه^(٢).

ونسب الرازى هذا القول مرة إلى القاضى، أى عبد الجبار بن أحمد (٤١٥/ ١٠٢٥)^(٣)، وأخرى إلى المتكلمين^(٤)، وثالثة إلى جماعة من أهل الأصول^(٥). واعتل الجبائى بأن القسم لا يجوز إلا بالله^(٦).

(١) الجامع ٤١/١٠ . وأتى به غير منسوب : الطوسى ٤٤١/٨ ، ٣٥٥/٩ ، ٣٧٧ ، ٤١٨ ، ١٨٣/١٠ ، ٢٢٣ ، ٢٥١ ، ٣١٢ ، ٣١٥ ، ٣٥٦ . البغوى ٣٤/٧ . الطبرى ١١٧/٢٩ ، ٢٢٣ ، ٣٠/٢٢ ، ٩٩ ، ١٦٦ ، ٢٥١ ، ٣١٢ ، ٣١٥ . ابن الجوزى ٤٥/٧ ، ٢٧/٨ . الزركشى ٤١/٣ . النيسابورى ٨٤/٣٠ ، ٩٨ . معترك ٤٥١/١ . الإتيقان ١٧٠/٢ . الشوكانى ٣٧٤/٤ ، ٤٤٥/٥ ، ٤٥٥ ، ٤٩٥ . المدخل ٥٠٣/١ . العمرى ٢٤٥ .

(٢) البيان ٥٠٧/٩ ، ١٠٨/١٠ . الطبرى ٤٨/٢٣ ، ٤٩/٢٩ ، ١٥٧/٣٠ .

(٣) مفاتيح ٣١/١٥٠ ، ١٧١ ، ١٧٣ .

(٤) مفاتيح ٣١/٩٩ .

(٥) مفاتيح ٣١/١٧١ .

(٦) الطوسى ١٠٨/١٠ . الطبرى ٤٨/٢٣ . وانظر الرازى ٣١/٩٩ .

وصرح — هو والقاضى — بأن الذى سوغ حذف المضاف كون حجج العقول دالة على المحذوف ^(١) .

واستدل القاضى على رأيه بما يلي :

* لا يجوز أن يكون المراد من قوله ﴿ وَمَا بَنَاهَا ﴾ الله ، للأسباب التالية :

(ما) لا تستعمل فى خالق السماء إلا على ضرب من المجاز .

لا يجوز منه — تعالى — أن يقدم قسمه بغيره — السماء — على قسمه بنفسه .

لا يكاد يذكر — تعالى — مع غيره على هذا الوجه .

لا بد إذن من التأويل ، وهو أن (ما) مع ما بعدها فى حكم المصدر ، فيكون

التقدير: وَالسَّمَاءِ وَبَنَائِهَا ^(٢) .

* القسم — فى سورة الفجر — دال على المبالغة . ومعلوم أن المبالغة فى

القسم لا تحصل إلا فى القسم بالله ^(٣) .

وأتى بهذا الاستدلال فى صياغة أخرى — فى موضع آخر — مع نسبته إلى

أصحاب هذا القول ، دون تحديد ، فذكر أنهم احتجوا عليه بوجوه :

الأول : أنه ﷺ هى عن الحلف بغير الله . فكيف يليق بحكمة الله أن يحلف بغير

الله ؟

الثانى : أن الحلف بالشئ تعظيم عظيم للمحلف به . ومثل هذا التعظيم

لا يليق إلا بالله .

(١) الطبرسى ٢٣/ ٤٨ ، ٢٩/ ٤٩ ، ١١٧ ، ١٥٧ .

(٢) مفاتيح ٣١ / ١٧١ . وانظر النيسابورى ٣٠ / ٩٨ — ٩ .

(٣) مفاتيح ٣١ / ١٥٠ ، ١٧١ .

الثالث : أن هذا الذى ذكرناه تأكــد إذ صرح — تعالى به فى قوله :
﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ ^(١) .

ورد الطوسى على هذا رأى بأنه ترك للظاهر من غير دليل، لأنه قد يجوز ذلك القسم على جهة التنبيه على ما فى الأشياء من العبرة والمنفعة. واستدل بقول الحسن البصرى الذى ينص أن الله أن يقسم بما شاء ^(٢) .

واعترض الزمخشري على جعل (ما) فى الآيات مصدرية، لأن ذلك — فى رأيه — يؤدى إلى فساد النظم . ورأى أن الوجه أن تكون موصولة . وإنما أوثرت على (مَنْ) لإرادة معنى الوصفية ، كأنه قيل : والسماء والقادر العظيم الذى بسناها، ونفس والحكيم الباهر الذى سواها. وفى كلامهم — : سبحان ما سخركن لنا ^(٣) .

وشرح الرازى فساد النظم الذى أشار إليه الزمخشري فأعلن أنه يلزم من تأويل القاضى أن يكون المراد (ورب السماء وربها) وذلك كالتناقض ^(٤) .
ثم نظر فى قوله وقول الزمخشري ، وتساءل :

إن الذى ذكره صاحب الكشف من أن (ما) هاهنا لو كانت مصدرية لكان عطف (فألهمها) عليه يوجب فساد النظم : حق .

(١) مفاتيح ٢٦ / ١٠٣ .

(٢) البيان ٥٠٧ / ٩ ، ٢٥١ / ١٠ . وأتى به غير منسوب : الطبرى ٢٢ / ٣٠ . وانظر الشوكاني ٤٥٥ / ٥ .

(٣) الكشف ٧٥٩ / ٤ . الرازى ٣١ / ١٧١ ، ١٧٣ . النيسابورى ٩٨ / ٣٠ . الآلوسى ١٨٢ / ٣٠ .

(٤) مفاتيح ٣١ / ١٧١ .

والذى ذكره القاضى من أنه لو كان هذا قسما بخالق السماء لما كان يجوز تأخيره عن ذكر الشمس ؛ هو إشكال جيد .

ثم قدم الحل بقوله : والذى يخطر ببالي فى الجواب عنه : إن أعظم المحسوسات هو الشمس . فذكرها — سبحانه — مع أوصافها الأربعة الدالة على عظمتها . ثم ذكر ذاته المقدسة بعد ذلك ، ووصفها بصفات ثلاث ، وهى تدبيره للسماء والأرض والمركبات . ونبه على المركبات بذكر أشرفها ، وهى الشمس .

والغرض من هذا الترتيب هو أن يتوافق العقل والحس على عظمة جرم الشمس . ثم يحتج العقل الساذج بالشمس ، بل بجميع السماويات والأرضيات والمركبات ، على إثبات مُبدئ لها . فحينئذ يحظى العقل بإدراك جلال الله وعظمته ، على ما يليق به ، والحس لا ينازعه فيه . فكان ذلك كالطريق إلى جذب العقل من حضيض عالم المحسوسات إلى يَفَاع عالم الربوبية وبيداء كبرياء الصمدية ^(١) .

وشرح النيسابورى الموقف الأخير من الرازى — دون أن يذكره — بأن الله أراد أن نترج من المحسوسات إلى المعقولات ، ومن المصنوعات إلى الصانع ^(٢) . وكان أدق من الرازى حين وصف ما يلزم عن تأويل القاضى بالتكـرار لا التناقض ^(٣) .

(١) مفاتيح ٣١ / ١٧٣ .

(٢) غرائب ٣٠ / ٩٩ .

(٣) غرائب ٣٠ / ٩٨ .

٤ . الأشياء التى أقسم الله بها

من السبديهي أن المفسرين تصدوا لإبانة ما أقسم الله به فى كل واحد من الأقسام حسب موقعه فى المصحف . ولكنى — فى هذا المقام — لن أعنى بهذه الحالات الفردية ، وإنما أعنى بالمحاولات التى اضطلع بها بعض العلماء لإبانة كل ما أقسم الله به أو مجموعة كبيرة منه فى موضع واحد.

وأول ما أتعرض له تلك التى تتجلى فى قول ابن أبى الإصبع : المفتحات بالقسم خمس عشرة سورة . وهى على خمسة أضرب :

- ضرب أقسم فيه سبحانه بالملائكة .
 - وضرب أقسم فيه بالأفلاك .
 - وضرب أقسم فيه بلوازم الأفلاك .
 - وضرب أقسم فيه بالعناصر .
 - وضرب أقسم فيه بالمولدات ، أعنى الحيوانات والنباتات والجمادات .
- فالضرب المقسم فيه بالملائكة سورة واحدة ، وهى الصافات .
والضرب المقسم فيه بالأفلاك سورتان ، وهما البروج ، والطارق .
والضرب المقسم فيه بلوازم الأفلاك ست سور ، وهى النجم ، والفجر ، والشمس ، والليل ، والضحى ، والعصر .
والضرب المقسم فيه بالهواء سورتان ، وهما المرسلات ، والذاريات .
والضرب الذى أقسم فيه بالتربة سورة واحدة ، وهى الطور .

والحكمة فى ذكر هذين العنصرين الأخيرين أن جميع المولدات من العناصر لا تخرج عن لطيف وكثيف . فكثافة الكثيف من التراب ، ولطافة اللطيف من الهواء .

فكان ذكر هذين العنصرين مستلزما ذكر كل لطيف وكثيف. فلأجل ذلك كان ذكرهما دون غيرهما مما تقتضيه البلاغة. وأيضا فإن طبيعة الهواء حارة رطبة، وطبيعة السراب باردة يابسة. والحرارة والرطوبة طبعُ الحياة، والبرد واليبس طبيعة الموت. فكان ذكر هذين العنصرين يتضمن ذكر الحياة والموت، اللذين لا يَغْرِى الموجود عن أحدهما. فتعين ذكرهما دون غيرهما.

والمقسم فيه بالمولدات على ثلاثة أضرب :

- ضرب أقسم سبحانه فيه بالجماد ، وهي سورة واحدة، وهي الطور.
 - وضرب أقسم فيه بالنباتات في سورة واحدة أيضا ، وهي التين .
 - وضرب أقسم فيه بالحيوان ، وهو صنفان :
- صنف أقسم فيه بالحيوان الناطق، وهو سورة واحدة، هي النازعات.

■ وصنف أقسم فيه بالحيوان البهيم ، وهو سورة واحدة أيضا، وهي العاديات ^(١).

وذهب ابن القيم إلى أن القسم لا بد أن يكون بما يحسن فيه التوكيد كالأمور الغائبة والخفية. أما الأمور الظاهرة المشهورة — كالشمس والقمر والليل — فهذه يقسم بها ولا يقسم عليها ^(٢).

وحصر ما أقسم الله به في :

- نفسه الموصوفة بصفاته .
- وآياته المستلزمة لذاته وصفاته .

(١) الخواطر ٨٠ — ٢ .

(٢) التبيان ٤٦ / ١ . معترك ٤٥٣ / ١ . الإتيان ١٧١ / ٢ . قمحاوي ٢٦ / ٣ . وأتى به دون نسبة: القطان ٣٠٤ . أمين ٢٤٤ . شحانة ٢٧٤ . العمرى ٢٤٧ .

• وبعض المخلوقات ^(١).

وجاء الزركشى بقولين : قال في أولهما : أقسم الله بنفسه في سبعة مواضع :

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ^(٢).

﴿ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ ^(٣).

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ^(٤).

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ﴾ ^(٥).

﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ ^(٦).

﴿ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَّ ﴾ ^(٧).

﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾ ^(٨).

وبالباقي كله أقسم بمخلوقاته ^(٩).

وقال في الثاني : أقسم سبحانه بثلاثة أشياء :

(١) التبيان ١/ ٤٥ . معترك ١/ ٤٥٣ . الإتيان ٢/ ١٧١ . الفراهي ١٠، ١٢ . قمحاوى

٣/ ٢٥ . وأتى به دون نسبة : القطان ٣٠٢ . الألوسى لعبد الحميد ٢٤٦ . أمين ٢٤٠ ،

العمري ٢٤٦ . وانظر خليف ٩٦ — ٧ .

(٢) سورة النساء ٦٥ .

(٣) سورة يونس ٥٣ .

(٤) سورة الحجر ٩٢ .

(٥) سورة مريم ٦٨ .

(٦) سورة الذاريات ٢٣ .

(٧) سورة التغابن ٧ .

(٨) سورة المعارج ٤٠ .

(٩) البرهان ٣/ ٤٠ . وأتى به غير منسوب : معترك ١/ ٤٥٠ . الإتيان ٢/ ١٧٠ . القطان ٣٠ .

القاضى ٨٤ . شحاتة ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٨ . قمحاوى ٣/ ٢٣ . القمري ٢٤٤ . رضا

١٦٦ . وانظر أمين ٢٤٠ .

أحدها : بذاته ، كقوله : ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ ^(١) .
والثاني : بفعله ، كقوله : ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ ^(٢) . ويصلح هذا على اعتبار (ما) مصدرية .
والثالث : مفعوله ، نحو : ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ ^(٣) .
وأفاض طنطاوى جوهرى كما أفاض ابن أبى الإصبع قبله . فقال : تراه — عز شأنه — أقسم عشرين قسما بالأجرام العلوية وخواصها وأضوائها ومواقعها ، تراه أقسم بالفجر ، والفلق — وهو الصبح — والشمس ، والضحي ، والنهار ، والعصر ، والليل إذا يغشى — يغطى — المخلوقات كأنه ملاءة منشورة عليهم ، والليل إذ يسرى — يسير — حول الكرة الأرضية تابعا للنهار ، والنهار يتبعه .
وأقسم بالليالى العشر ، فى أول كل شهر عربى ، لغلبة ظلامها على ضوئها .
وأقسم بالنجم إذا هوى ، تنبيها على مغارب النجوم وإيقاظا لها .
وأقسم بمواقع النجوم وأماكنها الواقعة فيها ودوائرها .
وقال : ﴿أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ أى محل الشروق والغروب .
وأقسم بالشفق ، وبالليل ، وبما وسق — أى جمع .
وأقسم بالقمر ، وبالسماوات ذات البروج ، تنبيها لمعرفة ، لتعرف السنين والشهور والأيام .
وأقسم بالسماوات ووصفها بأنها ذات الحبك — أى طرق النجوم — وبالقمر إذا اتسق — أى امتلأ بالنور .

(١) سورة الذاريات ٢٣ .

(٢) سورة الشمس ٥ — ٧ .

(٣) سورة النجم ١ . البرهان ٤٢ / ٣ . وأتى به غير منسوب : معترك ٤٥٢ / ١ . الإتيان ١٧٠ / ٢ .

القاضى ٨٦ . شحاتة ٢٨٠ . المدخل ٥٠٤ / ١ . قبحاوى ٢٤ / ٣ . ونسبه للسيوطى : رضا ١٦٨ .

وأقسم بالسماء ، وبمن بناها .

وأقسم بالنازعات غرقا ، وهى النجوم التى ترمى شهابا عن دوائرها المشبهات القوس . فكأن النجم إنسان، والدائرة قوس ، والشهاب الساقط سهم. وذكر أنها ناشطات فى سيرها، مسرعات فيه، تتم دوراتها كالشمس فى سنة، والقمر فى شهر. فقال : ﴿ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا * وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا * فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴾ أى النجوم التى تسبق غيرها، وتتم دورتها سريعا ﴿ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾ ^(١) وهى هذه النجوم ، لأنها بها يتم تدبير العالم .

ثم إنه أقسم بذكر أشياء أخرى مما تحت الفلك ، وأحاط بالكرة الأرضية : فأقسم بالرياح الداريات ، وبالجبال ، فقال : ﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذُرْوًا * فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴾ أى الرياح التى تحمل السحاب، وتذرو الأشياء . وأقسم بالأرض وما طحاها. فالأرض مفهومة، وطحوها دحيها وتسويتها وإتقانها.

وأقسم بالجبل فقال : ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾

وبالنبات فقال : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾

وبالبلد الذى خرج منه سيدنا محمد ﷺ فقال : ﴿ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾

وأقسم بالخيول فقال : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾ أى الخيل التى تعدو وهى تصبح فى الجرى ضبحا .

وأقسم بكل من يُحْس ، وكل ما يُحَس ، فكأنه أقسم بكل محسوس وبكل ما يحس به .

وأقسم بالناطق والصامت فقال : ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ ^(٢)

(١) سورة النازعات ٢ - ٥ .

(٢) سورة البروج ٣ .

وأقسم بيوم القيامة، ويوم الجزاء ، ويوم الميعاد، الذى سيجازى فيه الناس.

وأقسم بالكتب المسطرة المنثورة ، وهى ما يقرؤه الناس .

وأقسم بالبحر .

ثم عمم القسم بكل ما خلق فقال: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ* وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾^(١).

فكانه أقسم بكل شىء — إذ العالم قسمان : ما يُبصر ، وما لا يبصر.

وجاء بتعميم آخر ، فأقسم بالشفع والوتر. ولا ريب أن العدد إما شفع

أو وتر .

وهذه نحو عشرين قسما . أحاط بها بالأرض والهواء والسحاب والجبال

والنبات والحيوان .

وخصص الإنسان منه فقال : ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾^(٢) أى أقسم بآدم وأولاده

وغيرهم . وخصص ذلك بعد فقال : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾^(٣) فأقسم بالنفوس وتسويتها.

فتراه أقسم بأمهات العالم كلها . وأخيرا أقسم بكل ما خلق مما نشاهد وما لا

نشاهد.

تفيد هذه الأقسام بالعلويات — وهى تبلغ العشرين — وبالسفليات — وهى

تبلغ العشرين أيضا — أن الله أمر عباده، وأوجب عليهم النظر فى العلويات

والسفليات بالتساوى، وفى الحساب والهندسة . . . وجميع العلوم^(٤).

(١) سورة الحاقة ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) سورة البلد ٣ .

(٣) سورة الشمس ٧ .

(٤) التاج ٩٧ — ١٠٠ .

وذكر د. أحمد أحمد بدوي أن القرآن أقسم بالرب، وحياة المخاطب (الرسول)، ومصنوعات الله، كالشمس والقمر والنهار والليل والسماء والأرض والنفس^(١).

وقال د. عبد الله محمود شحاتة: أقسم القرآن بكثير من مخلوقات الله، وبالملائكة، وبالنبى، وبمظاهر الكون كالشفق والليل وما وسق والقمر إذا اتسق وبالعصر والضحى والشمس، والبلد، ووالد وما ولد، وبالفجر والتين^(٢).
وأجمل د. يوسف خليف الأمر في قوله: جرى القسم فى القرآن على خمسة أساليب.

فالله يقسم بذاته الموصوفة بصفاته، مثل:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾^(٣).

ويقسم بآياته المستلزمة لذاته.

ويقسم بنبيه.

ويقسم ببعض مخلوقاته.

ويقسم بالقرآن^(٤).

وخالف — محققا — من سبقوه، فذكر أن قسمه بذاته ورد فى عشر آيات، منها آيتان مديتان، والثمانى الباقيات مكية. وأضاف إلى ما ذكره الزركشى:

(١) من بلاغة ١٧٠ — ١.

(٢) علوم ٢٧٨.

(٣) سورة النساء ٦٥.

(٤) دراسات ٩٦.

﴿ تَا لِلّٰهُ لَتَسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتُرُونَ ﴾ ^(١).

﴿ تَا لِلّٰهُ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ ^(٢).

﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ ^(٣).

وقال : ورد القسم بالقرآن في خمسة مواضع ، كلها مسبقة بالحروف المقطعة

التي افتتحت بها بعض السور :

﴿ يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴾ .

﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ .

﴿ حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ ^(٤).

﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾ .

أمسا أكثر أقسام القرآن انتشارا فهو القسم بآياته ومخلوقاته، وهي التي تُميّز

أسلوب القسم فيه بهذا الطابع الفريد به ^(٥).

واقصر د . محمد بكر إسماعيل على أن الله أقسم بذاته في ستة مواضع فقط ^(٦).

وتسبين هذه الجولة أن أوفى الإحصاءات ما جاء به ابن أبي الإصبع وطنطاوى

جوهري، وأدقها ما جاء به د . يوسف خليف مع حرصه على إبانة المكى من المدنى

من الآيات، وأوجزها مع الوفاء ما جاء به ابن القيم . أما غيرهم فلم يحاولوا أن

يكون الحصر شاملا .

(١) سورة النحل ٥٦ .

(٢) سورة النحل ٦٣ .

(٣) سورة سبأ ٣ .

(٤) سورتا الزخرف والدخان ١ ، ٢ .

(٥) دراسات ٩٦ — ٩ .

(٦) دراسات ٣٦٤ .

٥ - الحسية فى الأقسام المكى والمدنية

وكان من العلماء من تأثر بأقوال المستشرقين ، فوازن بين الأقسام فى العهد المكى والأقسام فى العهد المدنى. فزعم أن القسم المكى يكثُر فيه القسم بالضحى والشمس . . . إلى آخر ما هو جدير بالبيئات الساذجة التى تشبه بيئة مكة تأخرا وانحطاطا، وأن القسم المدنى خلا من القسم بهذه المحسوسات.

فتصدى له د. محمد محمد أبو شهبه، ورماه بأن غرضه — من هذا القول — الزعم بأن القرآن متأثر بالبيئة ، ليصل إلى التشكيك فيه . وأعلن أن هذا الكلام مردود بما يأتى :

١ - دعوى أن البيئة المكى ساذجة جاهلة لا ترقى إلى ما وراء الحس ، دعوى لم يقم عليها دليل ، ويكذبها الواقع والتاريخ الصحيح. فقد كان أهل مكة أوفى ذوقا، وأرهف شعورا ، وأذكى عقولا من أهل المدينة.

٢ - إن الله أقسم — فى القسم المكى — بالمعقول كما أقسم بالمحسوسات . فمن ذلك قسمه بالقرآن والملائكة والنفس الناطقة . . .

٣ - إن القسم بهذه الأشياء لا كوفها محسوسة، وإنما هو تنبيه إلى ما تشتمل عليه من إحكام فى الخلق والصنعة، وما تنطوى عليه من أسرار وعجائب، ونعم وآلاء^(١).

وليت الشيخ اكتفى بالأمرين الأخيرين ، ولم يتعرض للموازنة بين مكة والمدينة، لأن الكثيرين لا يوافقونه على ما قال .

(١) المدخل ٢٤٧ .

الفصل الثانى

أساليب القسم

أ . دخول أدوات النفى عليه

ومن أول الظواهر التى لفتت أنظار العلماء دخول (لا) على القسم فى عدة آيات . وقد اختلفوا فيها على النحو التالى :

١ . لا غير نافية للقسم

فنقل الطوسى أن ابن عباس فصل بينها وبين فعل القسم الذى بعدها، فجعلها غير نافية له ، وقال : (لا) تأكيد، كقولك : لا والله ، بلى والله : ما كان كذا . فكأنه قال : لا ، أقسم بيوم القيامة ما الأمر على ما توهموه^(١) .

(١) التبيان ١٠ / ١٩٠ . ونسب الطبرى ٢٩ / ١٠٨ ، والبغوى ٨ / ٢٧٩ : هذا القول لأبي بكر ابن عياش، والزجاج لسعيد بن جبير (ابن الجوزى ٨ / ١٥٠) . والقرطبي ٥٩ / ٢٠ للأخفش . وأورده غير منسوب : الزمخشري ٤ / ٦٥٨ . ابن الجوزى ٩ / ١٢٦ . الرازى ٢٩ / ١٦٣ . القرطبي ٩٢ / ١٩ . أبو حيان ٨ / ٢١٣ . حمودة ٢٦ . السامرائى ٥٧ .

وقال محمد الخضر حسين عن هذا الأسلوب : إنه من الصيغ المذكورة للقسم المفيدة للتوكيد والتحقيق ^(١) .

وروى الطبرسي عن عبد الله بن عباس وسعيد بن جبير قالا : (لا) صلة ، ومعنى الكلام أقسم ^(٢) .

وعارض يحيى بن زياد الفراء (١٤٤ — ٢٠٧ / ٧٦١ — ٨٢٢) هذا القول ، لأنه لا يُبتدأ بجحد [نفى] ، ثم يجعل صلة يراد به الطرح ، لأن هذا — لوجاز — لم يعرف خبر فيه جحد من خبر لا جحد فيه ^(٣) .

ورد أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي (٢٨٨ — ٣٧٧ / ٩٠٠ — ٩٨٧) على الفراء قائلا : (لا) صلة كالتى فى قوله : ﴿ لَنَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴾ .

فإن قلت : لا ، وما ، والحروف التى هى زوائد ، إنما تكون بين كلامين كقوله : ﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ ﴾ ^(٤) و ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ ﴾ ^(٥) ولا تكاد تترادأ أولا .

(١) بلاغة ٤٥ . موسى ١٢٦ .

(٢) مجمع ٢٩ / ٢٤ . وأضاف إليهما أبا عبيدة معمر بن المثنى (١١٠ — ٢٠٩ / ٧٢٨ — ٨٢٤)

القرطبي ٩١ / ١٩ . واقتصر على ابن جبير : الطبرى ١١٧ / ٢٧ ، ١١٧ / ٢٩ ، ٤١ / ١٠٨ .

الطوسى ٥٠٦ / ٩ ، ١٠ / ١٩٠ . ونسبه إلى علي بن حمزة الكسائى وأبى عبيدة : الطوسى

١٠ / ١٩٠ . وأتى به غير منسوب : الطوسى ١٠ / ٢٨٥ ، ٣١٢ ، ٣٤٩ . البغوى ٢ / ٢٤٥ ،

٢٢ / ٨ : ٢٧٩ . الزمخشري ٤ / ٦٥٨ . الرازى ٣٠ / ١٠٣ ، ١٨٩ . القرطبي ١٧ / ٢٢٣ ،

١٨ / ٢٧٤ ، ٢٩٥ . الحديدى ٨٦ — ٧ .

(٣) معاني ٣ / ٢٠٧ . القرطبي ١٩ / ٩٢ . وأتى به غير منسوب : الزمخشري ٤ / ٦٥٨ . الرازى

٣٠ / ١٨٩ . ابن هشام ١ / ٢٧٦ . النيسابورى ٢٩ / ٩٦ .

(٤) سورة نوح ٢٥ .

(٥) سورتا النساء ١٥٥ ، والمائدة ١٣ .

فقد قالوا : إن مجارى القرآن مجارى الكلام الواحد، والسورة الواحدة ^(١) .
والذى يدل على ذلك أنه قد يذكر الشيء في سورة، ويحيى جوابه في سورة
أخرى، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ ^(٢) جاء جوابه في
سورة أخرى، ﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ ^(٣) فلا فصل — على هذا — بين
قوله: ﴿لَنَلَّا يَعْلَمَ﴾ . وقوله: ﴿لَا أُقْسِمُ﴾ ^(٤) .

وذكر الطوسي أن قوما ممن جعلوا (لا) صلة ، ذهبوا إلى أنها صلة مؤكدة ^(٥) .
ورفض الزمخشري كلام الفارسي، ورأى أن اعتراض الفراء صحيح ، لأن (لا)
لم تقع مزيدة إلا في وسط الكلام، وجواب الفارسي غير سديد. ألا ترى إلى امرئ
القيس كيف زادها في مستهل قصيدته ^(٦) .

واستضعف الرازي أيضا القول بأنها صلة زائدة من وجوه :

الأول : قوله ﴿لا وأبيك﴾ قسم على النفي، وقوله ﴿لا أقسم﴾ نفي
للقسم، فتشبيه أحدهما بالآخر غير جائز .

الثاني : القرآن كالسورة الواحدة في عدم التناقض. فأما أن يقرن بكل آية
ما قرن بالآية الأخرى، فذلك غير جائز، لأنه يلزم جواز أن يقرن بكل إثبات حرف
النفي في سائر الآيات، وذلك يقتضى انقلاب كل إثبات نفيا.

(١) الطبرسي ١٢٣/٢٩ . وأتى به غير منسوب : الزمخشري ٦٥٨/٤ . الرازي ٣٠ / ١٨٩ .

القرطبي ٩١ / ١٩ . ابن هشام ١ / ٢٧٦ . النيسابوري ٩٦ / ٢٩ . الألوسي ١٧١ / ٢٩ .

(٢) سورة الحجر ٦ .

(٣) سورة القلم ٢ .

(٤) الطبرسي ١٢٣/٢٩ . وأتى به دون نسبة : الرازي ٣٠ / ١٨٩ . القرطبي ٩١ / ١٩ .

(٥) التبيان ١٠ / ١٠٨ . الألوسي ٣٠ / ١٧٠ .

(٦) الكشف ٦٥٨/٤ .

الثالث : المراد من قولنا : (لا) صلة ، أنها لغو باطل يجب طرحه حتى ينتظم الكلام . ومعلوم أن وصف كلام الله بذلك لا يجوز ^(١) .

واتفق جمال الدين عبد الله بن يوسف المعروف بابن هشام النحوى (٧٠٨ — ٧٦١ / ١٣٠٩ — ١٣٦٠) مع الفراء ، واعتمد عليه ، وأضاف إليه أن زيادة الشيء تفيد اطراحه ، وكونه أول الكلام يفيد الاعتناء به . ولهذا نقول بزيادة (لا) في نحو ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ ﴾ و ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ لوقوعها بين الفاء ومعطوفها ، بخلاف أمثال ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ ^(٢) .
وأعلن القرطبي أن القول بأن (لا) صلة قول أكثر المفسرين ^(٣) . واتفق معه الآلوسى الذى أعلن أنه قول الجمهور ^(٤) .

ولخص الآلوسى ما ذهب إليه الزمخشري في قوله : إذا وقعت (لا) في خلال الكلام كقوله : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ فهي صلة تزداد لتأكيد القسم . وإذا وقعت ابتداء كما في سورتي القيامة والبلد فهي للنفي ، لأن الصلة إنما تكون في وسط الكلام ^(٥) .

وروى الطبرسى عن سعيد بن جبیر قال : (لا) زائدة ، والمعنى فأقسم ^(٦) .

(١) مفاتيح ٣٠ / ١٨٩ — ٩٠ . وانظر الآلوسى ٢٩ / ١٧١ .

(٢) المغنى ١ / ٢٧٦ .

(٣) الجامع ١٧ / ٢٢٣ .

(٤) روح ٢٩ / ١٧١ .

(٥) روح ٢٩ / ١٧١ .

(٦) مجمع ٢٧ / ١٣١ . ابن كثير ٤ / ٣١٨ . ونسبه لأبي عبيدة : الشوكاني ٥ / ٣٣٢ .

ولسعيد بن مسعدة الأخفش (٨٣٠ / ٢١٥) : القرطبي ٢٠ / ٥٩ . وأتى به دون نسبة :

ابن جنى ٢ / ٣٠٩ . البغوى ٨ / ٣٤٩ . الطبرسى ٢٧ / ١٢٣ ، ٢٩ / ١٢٣ ، ٣٠ / ٥٢ =

وحكى الطوسى أيضا : قيل (لا) تزداد قبل القسم ، كقولك : لا والله لا أفعل كذا، ولا والله ما كلمت زيدا . وقال امرؤ القيس :

لا ، وأبيك ابنة العامرى
ي ، لا يدعى القوم أنى أفر
بمعنى وأبيك ^(١) .

ووصفها في سورة المعارج بأنها مقحمة ^(٢) .

ويتضح من الأقوال الواردة في كونها صلة والواردة في كونها زائدة أن لا فرق بين القولين ، وأنها — في حقيقة الأمر — يعبران عن رأى واحد ^(٣) .
ومن ثم يرد على القول بزيادتها الاعتراضات التى وردت على القول بأنها صلة .

وروى ابن كثير عن الضحاك بن مزاحم (٧٢٣/١٠٥) قال : إن الله لا يقسم بشيء من خلقه ، ولكنه استفتاح يستفتح به كلامه ^(٤) .

وقال القرطبي : أجاز سعيد بن مسعدة الأخفش (٨٣٠/٢١٥) أن تكون (لا) بمعنى (ألا) ^(٥) .

وقال في موضع آخر : (لا) بمعنى (ألا) للتنبيه كما قال امرؤ القيس :

* ألا عم صباحا أيها الطلل البالى *

= ابن الجوزى ٨/٤١٥ ، ٩/٤١ . القرطبي ١٩/٢٣٦ ، ٢٧٤ . الشوكاني ٥/٢٨٣ ،

٢٩٣ ، ٣٨٦ ، ٤٠٣ ، ٤٣٩ . شحاتة ٢٧٦ . المدخل ١/٥٠٦ .

(١) التبيان ٩/٥٠٦ ، ١٠/١٩٠ . وأتى به غير منسوب : الطبرسى ٢٧/١٣١ ، ٢٩/٤٩ .

(٢) التبيان ١٠/١٢٨ .

(٣) انظر الرازى ٣٠/١٨٩ .

(٤) التفسير ٤/٣١٨ . وانظر الآلوسى ٢٧/١٥٢ .

(٥) الجامع ٢٠/٥٩ .

ونبه بهذا على فضيلة القرآن ليتدبروه ، وأنه ليس بشعر ولا سحر ولا كهانة كما زعموا ^(١) .

وذكر أبو حيان أنه قد قيل : إنها تأكيد مبالغة ما ، وهي كاستفتاح كلام شبهه في القسم (ألا) في شائع الكلام : القسم وغيره . ومنه :
* فلا وأبي أعدائها لا أخونها ^(٢) *
واستضعف ابن كثير رأى الضحاك ^(٣) .

وروى الآلوسی عن بعضهم أن (لا) كثيرا ما يؤتى بها قبل القسم على نحو الاستفتاح ، كما في قوله .

لا و أبيك ابنة العامرى ى لا يدعى القوم أنى أفر ^(٤)
ووصفها الزمخشري في أكثر من موضع بأنها مزيدة مؤكدة ، تؤكد معنى القسم كما زيدت في «لَا يَلْعَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ» ^(٥)
أى ليعلم ^(٦) .

وذكر الرازى : أصلها (لأقسم) بلام التأكيد، أشبعت فتحتها، فصارت (لا) كما في الوقف ^(٧) .

(١) الجامع ١٧ / ٢٢٣ . وانظر الشوكاني ٥ / ١٥٨ .

(٢) البحر ٨ / ٢١٣ .

(٣) التفسير ٤ / ٣١٨ . وانظر الشوكاني ٥ / ١٥٨ .

(٤) روح ٢٧ / ١٥٢ .

(٥) سورة الحديد ٢٩ .

(٦) الكشف ١ / ٥٢٨ — ٩ ، ٤ / ٤٦٨ . أبو حيان ٣ / ٢٨٤ . الآلوسی ٥ / ٧٠ ، ٢٧ /

١٥٢ . وأتى به غير منسوب : الطبرسى ٢٩ / ٤٩ ، ٥١ . ابن الجوزى ٨ / ٣٥٤ . الرازى

١٠ / ١٣١ . ابن هشام ١ / ٢٧٦ . الشوكاني ١ / ٥٧٣ ، ٥ / ١٥٨ . السامرائى ٥٣ ، ٥٥ .

(٧) مفاتيح ٢٩ / ١٦٣ . وأتى به دون نسبة : الآلوسی ٢٩ / ١٧١ . خليف ١١٠ .

واكتفى أبو حيان بأن قال : الأولى — عندى — أنها لام أشبعت فتحتها ، فتولدت منها ألف ، كقوله :

* أعوذ بالله من العقراب *

وهذا — وإن كان قليلا — فقد جاء نظيره فى قوله : ﴿ فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ ﴾ ^(١) بياء بعد الهمزة ، وذلك فى قراءة هشام ^(٢) .

وقال د . محمد أبو النور الحديدى : هى لام الابتداء ، أشبعت فتحتها ، فتولدت منها ألف . والعرب ربما أشبعت الفتحة بألف ، والكسرة بياء ، والضممة بواو ^(٣) . وقال الرازى : يمكن أن يكون الغرض منه الاستفهام على سبيل الإنكار ، والتقدير : ، على أن الحشر والنشر حق ؟ ! ^(٤) .

وروى القرطبى أن بعضهم قال : (لا) زيادة فى الكلام للزينة ^(٥) . ولعل إبراهيم السامرائى كان يشرح هذا القول حين قال : إن (لا) التى صُدِّرَ بها القسم من الأدوات تزداد لتحسين القول فى زيادة النفى ، ومن هنا قالوا : إنها زائدة إرادة التوكيد الذى يراد فيه تحسين القول ^(٦) .

(١) سورة إبراهيم ٣٧ .

(٢) البحر ٢١٣ / ٨ . حمودة ٢٦ . وانظر الشوكانى ١٥٨ / ٥ .

(٣) البيان ٨٨ .

(٤) مفاتيح ٣٠ / ١٩٠ . وأتى به غير منسوب : النيسابورى ٩٧ / ٢٩ .

(٥) الجامع ١٩ / ٩٢ .

(٦) من أساليب ٥٣ — ٤ .

٢ . لا نافية

واتفقت جماعة من العلماء على أن (لا) في هذا الأسلوب نافية. ثم تشعبت بهم السبل حين تعرضوا لذكر المنفى .

فذهب سعيد بن جبير إلى أن (لا) نفى ورد لما يقوله الكفار في القرآن ، من أنه سحر وشعر وكهانة، كأنه قيل : فلا صحة لما يقولون فيه ^(١) .

ويبدو أن مجاهد بن جبر (٢١ — ٦٤٢/١٠٤ — ٧٢٢) اكتفى بالقول بأن (لا) رد عليهم ^(٢) . ففهم مكى بن أبي طالب حموش القيسى (٣٥٥ — ٩٦٦/٤٣٧ — ١٠٤٥) أن المعنى المراد — في سورة البلد مثلاً : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ ، إذ لم تكن فيه بعد خروجك منه ^(٣) . ونقل الشوكاني عن مجاهد أنه رد على من أنكر البعث ^(٤) .

وفسر الفراء هذا الأسلوب فقال: جاء القرآن بالرد على الذين أنكروا البعث والجنة والنار . فجاء الإقسام بالرد عليهم في كثير من الكلام المبتدأ منه

(١) أبو حيان ٢١٣/٨ . الآلوسی ١٥٢/٢٧ . ونسبه إلى علي بن أحمد النيسابوري: ابن الجوزي ١٥٠/٨ . وأتى به غير منسوب : الطبرسي ١٣١/٢٧ . البغوي ٢٢/٨ . ابن كثير ٣١٨/٤ .

(٢) القرطبي ٦٠/٢٠ . وأتى به غير منسوب : الطبري ١١٧/٢٧ ، ٤١/٢٩ ، ١٠٨ . الطوسي ٥٠٦/٩ ، ٣٤٩/١٠ . البغوي ٢١٣/٨ . الطبرسي ٤٩/٢٩ ، ٢٢٣ — ٤ . ابن الجوزي ٣٥٤/٨ ، ٤١٥ . ابن كثير ٣١٨/٤ ، ٥٤٢ . الآلوسی ٧٠/٥ . وانظر الرازي ١٦٣/٢٩ ، ١٠٣/٣٠ ، ١٩٠ ، ٩٩/٣١ . القرطبي ٢٧٤/١٨ .

(٣) القرطبي ٦٠/٢٠ . وأتى به دون نسبة : الشوكاني ٤٣٩/٥ .

(٤) فتح ٤٣٩/٥ .

وغير المبتدأ، كقولك في الكلام: لا والله لا أفعل ذاك . جعلوا (لا) — وإن رأيتها
مبتدأة — رداً لكلام قد كان مضى . فلو ألقيت (لا) مما ينوي به الجواب، لم يكن
بين اليمين التي تكون جواباً ، واليمين التي تستأنف فرق . ألا ترى أنك تقول
مبتدئاً : والله إن الرسول لحق . فإذا قلت : لا والله إن الرسول لحق، فكأنك
أكذبت قوماً أنكروه . فهذه جهة (لا) مع الإقسام وجميع الأيمان في كل موضع
ترى فيه (لا) مبتدأ بها . وهو كثير في كلامهم ^(١) .

وذهب الطبري إلى أن قول الفراء — دون أن يذكر اسمه — أولى الأقوال ^(٢) .
وكان يرى القراءة التي لا يستجيز غيرها أن تفصل (لا) عن (أقسم) — على ما
عليه قراءة الأمصار — لإجماع الحجة من القراءة عليها ^(٣) .

وعلى هذا الأساس ، فسر (لا) — في الآية ٦٥ من سورة النساء مثلاً — بأنها
رد على ما تقدم ، تقديره : ليس الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك . ثم
استأنف القسم بقوله : ﴿وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ ^(٤) .

(١) معاني ٢٠٧/٣ . الطوسي ٥٠٦/٩ ، ١٠٨/١٠ . البغوي ٢٧٩/٨ . القرطبي ٢٢٣/١٧ ،
٩٢/١٩ . الشوكاني ١٥٨/٥ . الألوسي ١٧١/٢٩ . وأتى به دون نسبة : ابن قتيبة
٢٦٩ . الطبري ٩٧/٢٩ ، ١٠٨ — ٩ . الطوسي ١٩٠/١٠ . ابن الجوزي ٤١٥/٨ .
وانظر الزمخشري ٦٥٨/٤ — ٩ . الطبرسي ١٢٣/٢٩ — ٤ . الرازي ١٩٠/٣٠ ،
٩٩/٣١ . القرطبي ٢٧٤/١٨ ، ٩٢/١٩ . ابن كثير ٤٤٩/٤ ، ٤٧٤ . ابن هشام
٢٧٥/١ . النيسابوري ٩٦/٢٩ . الحديدى ٨٨ . خليف ١١٠ .

(٢) جامع ٢٩ / ١٠٩ .

(٣) جامع ٢٩ / ١٠٨ .

(٤) جامع ٥ / ١٠٠ . ابن عطية ١٢٠/٤ . القرطبي ٣٦٦/٥ . الشوكاني ٥٧٣/١ ،
٢٨٣/٥ ، ٣٣٢ . ونسبه إلى الواحدى : الرازي ١٢٤/٢ . وأتى به دون نسبة :
الطوسي ٢٤٥/٣ . البغوي ٢٤٥/٢ — ٦ . ابن الجوزي ١٢٤/٢ .

وفسرها القشيري — في سورة البلد — : رد لما توهم الإنسان المذكور في هذه السورة، المغرور بالدنيا، أى ليس الأمر كما يحسبه من أنه لن يقدر عليه أحد . ثم ابتداء القسم^(١) .

واختار أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي (٤٦٨ — ٥٤٣ / ١٠٧٦ — ١١٤٨) هذا الوجه ، وقال في استحسانه : « وأما من قال : إنها رد ، فهو قول ليس له رد ، لأنه يصح به المعنى ، ويتمكن اللفظ والمراد »^(٢) .

واستدل الرازي على أن (لا) نافية بأنها على وزن قولنا : لا أقتل . ومعلوم أن ذلك يفيد النفي . والدليل عليه أنه لو حلف لا يقسم ، كان البر بترك القسم ، والحنث بفعله^(٣) .

واستضعف أبو حيان هذا الوجه ، لأن فيه حذف اسم (لا) وخبرها ، وليس جوابا لسائل يسأل ، فيحتمل ذلك ، نحو قوله : لا ، لمن سأل : هل من رجل في الدار ؟^(٤) .

كذلك أعلن الشوكاني أنه مدفوع بقوله : ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَغْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ مع تعيين المقسم به والمقسم عليه^(٥) .

(١) القرطبي ٦٠ / ٢٠ .

(٢) القرطبي ٦٠ / ٢٠ .

(٣) مفاتيح ١٨٩ / ٣٠ — ٩٠ . وأتى به دون نسبة : القطان ٣٠٤ . أمين ٢٤٥ . شحاتة ٦ / ٢٧ .

المدخل ٥٠٦ / ١ .

(٤) البحر ٢١٣ / ٨ . الشوكاني ١٥٨ / ٥ . الآلوسي ١٥٢ / ٢٧ . وأتى به غير منسوب :

الحديدي ٨٨ .

(٥) فتح ١٥٨ / ٥ .

وأحسن مناع القطان فصاغ الأقوال التي ترى النفي لكلام سابق أو متوهم ،
واختلفت في كنهه ، صاغها صياغة عامة تندرج تحتها كل الأقوال ، فقال : (لا)
نافية لمحذوف يناسب المقام ^(١) .

ولم يفصل أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني (٢٥٤-٣٢٢/٨٦٨-٩٣٤)
بين (لا) — التي رأى أنها نافية — وبين الفعل بعدها . وقدم وجهين لتفسير ذلك :
الأول : المعنى «لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ» لأنكم لا تقرون بها «وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ
الْوَائِمَةِ» فإنكم لا تقرون بأن النفس تلوم صاحبها يوم القيامة . ولكن أستخبركم
فأخبروني: هل أقدر على أن أجمع العظام المتفرقة ؟ فاعلموا أنا قادرون على أن
نفعل ذلك ^(٢) .

الثاني : المعنى لا أقسم ، إذ الأمر أوضح من أن يحتاج إلى قسم ^(٣) .
واختار الرازي الوجه الأول ، وعده الأصح ^(٤) .

ولكن عبد الحميد الفراهي اعترض عليه ، وحكم عليه بأنه غير مختار عند
العارف بكلام العرب . واعتمد في اعتراضه على أمرين :

١ - لو كان المراد كما فهم ، لكان وجه القول نفى مجرد القسم ، لا ذكر
الأشياء الخاصة ، كالنفس اللوامة والخنس والجواري الكنس وغيرها .

(١) مباحث ٣٠٤ . وأتى به دون نسبة : أمين ٢٤٥ . شحاتة ٢٧٥ . المدخل ١ / ٥٠١ .

(٢) الطبرسي ٢٩ / ١٢٤ . الرازي ٣٠ / ١٩٠ . الفراهي ٩ — ١٠ .

(٣) الطبرسي ٢٧ / ١٣١ ، ٢٩ / ٤٩ ، ٥١ ، ١٢٤ . الآلوسي ٢٧ / ١٣١ ، ١٥٢ ، ٢٩ /

١٧١ . وأتى به دون نسبة : الطوسي ١٠ / ١٠٨ . الرازي ٢٩ / ١٦٣ ، ٣٠ / ١٩٠ .

القرطبي ١٨ / ٢٧٤ . أبو حيان ٨ / ٣٢٨ . الشوكاني ٥ / ١٥٨ ، ٢٨٣ ، ٣٣٢ . عبده ٣ .

حسين ٤٥ . موسى ١٢٦ . القطان ٣٠٤ . أمين ٢٤٥ . المدخل ١ / ٥٠٦ . خليف ١١٠ .

(٤) مفاتيح ٣٠ / ١٩٠ .

٢ - هذا مخالف لأسلوب كلامهم . فإنهم يستعملون كلمة (لا) قبل القسم منقطعة . وهذا هو مختار الزمخشري ^(١) .

وأعلن الطوسي أن هناك من قال : (لا) توطئة للنفي الذي يأتي فيما بعد، لأنه إذا ذكر في أول الكلام وآخره كان أوكد وأحسن، لأن النفي له صدر الكلام، وقد اقتضى القسم أن يذكر في الجواب ^(٢) .

ورفض الزمخشري هذا الرأي قائلا : لو قصر الأمر على النفي دون الإثبات، لكان لهذا القول مساع، ولكنه لم يقصر. ألا ترى كيف لقي ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ بقوله : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ ^(٣) .

وروى ابن عطية أن هناك من قال : إنما قدم (لا) على القسم اهتماما بالنفي وإظهارا لقوته ، ثم كرره بعد القسم تأكيدا للتهم بالنفي .

وكان يصح إسقاط (لا) الثانية، ويبقى أكثر الاهتمام بتقديم الأولى . وكان يصح إسقاط الأولى، ويبقى معنى النفي، ويذهب معنى الاهتمام ^(٤) .

(١) إمعان ٨ - ٩ .

(٢) التبيان ٣ / ٢٤٥ . وانظر الزمخشري ٤ / ٦٥٩ . الرازي ١٠ / ١٣١ . القرطبي ٥ / ٢٦٦ .

أبو حيان ٣ / ٢٨٤ . ابن هشام ١ / ٢٧٦ . ابن كثير ٤ / ٣١٨ ، ٤٧٤ . الشوكاني ١ / ٥٧٣ . الآلوسي ٥ / ٧٠ - ١ .

(٣) الكشف ١ / ٥٢٨ ، ٤ / ٦٥٩ . أبو حيان ٣ / ٢٨٤ . الآلوسي ٥ / ٧٠ . وأتى به غير منسوب ابن هشام ١ / ٢٧٦ .

(٤) المحرر ٤ / ١٢١ . وأتى به غير منسوب : القرطبي ٥ / ٢٦٦ . أبو حيان ٣ / ٢٨٤ . الشوكاني ١ / ٥٧٣ .

ونفذ أحمد بن محمد المعروف بابن المنير السكندري (٦٢٠ - ٦٨٣ / ١٢٢٣ -
١٤٨٤) من خلال كلام الزمخشري، فبرر القول بالتوطئة، وقال: الزمخشري لم
يذكر مانعا من ذلك سوى مجيئها لغير هذا المعنى في الإثبات. وهو لا يأبي مجيئها في
النفي على الوجه الآخر من التوطئة.

ولم تسمع زيادتها مع القسم بالله إلا إذا كان الجواب منفيًا. فدل ذلك على أنها
معه زائدة موطئة للنفي الواقع في الجواب.

ولا تكاد تجدها في غير الكتاب العزيز داخلة على قسم مثبت. وإنما كثر
دخولها على القسم وجوابه نفي، كقول امرئ القيس . . . إلى ما لا يحصى كثرة^(١).
وصرح الزمخشري: المعنى أنه لا يقسم بالشئ إلا إعظاما له. فكأنه -
بإدخاله حرف النفي - يقول: إن إعظامي له - بإقسامي به - كلاً إعظام. إنه
يستأهل فوق ذلك^(٢).

ورأى د. محمد أبو النور الحديدي أن هذا الرأي لا يخلو من بعد^(٣).
وأعلن الرازي أنه يمكن تقدير وجه آخر فيه: هو: كأنه - تعالى - يقول:
لا أقسم بهذه الأشياء على إثبات هذا المطلوب، فإنه أعظم وأجل من أن يُقسم عليه
بها. ويكون الغرض من هذا الكلام تعظيم المقسم عليه وتفخيم شأنه^(٤).

(١) الآلوسي ٧٠ / ٥ - ١.

(٢) الكشف ٦٥٨ / ٤ - ٩. ابن هشام ٢٧٥ / ١ - ٦. الآلوسي ٢٩ / ١٧٠ - ١.

حمودة ٢٦. وأتى به غير منسوب: الشوكاني ٣٣٢ / ٥.

(٣) البيان ٨٨.

(٤) مفاتيح ٣٠ / ١٩٠. وانظر ١٦٣ / ٢٩.

وروى أبو حيان أنه قد قيل في قسم سورة النساء : (لا) الأولى نافية ، والقسم معترض بينها وبين ما تنفيه، و (لا) الثانية زائدة ^(١) .

ونقل حسن محمد موسى أن محمد عبده قال : إن هذا الأسلوب يؤتى به إذا أُريد تأكيد المقسم عليه، وتعظيم المقسم به . كأن المقسم عليه في ثبوته وظهوره لا يحتاج إلى قسم، والمقسم به — في نفسه — عظيم لا يحتاج إلى تعظيم ^(٢) .

٣ . لا ناهية

ونقل ابن الجوزي عن علي بن محمد الماوردي (٣٦٤ — ٩٧٤/٤٥٠ —
١٠٥٨) أنه قال في تفسير ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ : (لا) للنهي ، وتقدير الكلام : لا تكذبوا ، ولا تجحدوا ما ذكرته من النعم والحجج ^(٣) .

(١) البحر ٣ / ٢٨٤ ، ٨ / ٣٨٤ .

(٢) بيان ١٢٦ . وانظر جزء عم ٣٣ .

(٣) زاد ٨ / ١٥٠ . وانظر الرازي ٢٩ / ١٦٣ .

٤ . كـ

قال الفراء : كلا صلة للقسم ^(١) بمتلة سوف ، وهي حرف رد فكأها نعم
ولا في الاكتفاء . وقيل معناها حقا ^(٢) .
وقال الأخفش : معناها الردع والزجر ^(٣) .
وجعلها الطبري مثل (لا) — عنده — ردا لكلام سابق ^(٤) .
وقصرها الزمخشري مرة على الردع ^(٥) ، وجعلها أخرى للردع والتنبيه ^(٦) ،
وثالثة للإنكار ^(٧) .

(١) القرطبي ١١/١٤٧ ، ١٩/٨٤ . أبو حيان ٨/٣٧٨ . الشوكاني ٥/٣٢٨ . الآلوسی ٢٩/١٦٣ .

(٢) القرطبي ١٩/٨٤ . وأتى به غير منسوب : الطوسي ٢٩/١٨٣ ، ٣٠/٣٨٠ . البغوي ٨/٢٧١ ، ٤٧٩ . الطبرسي ٢٩/١١٨ ، ٣٠/١٨٦ ، ٢٣٠ . ابن الجوزي ٨/٤٠٩ ، ٩/١٧٦ . الرازي ٣٢/٨٨ . القرطبي ١١/١٤٧ ، ١٩/٨٤ ، ٢٠/١٢٣ . أبو حيان ٨/٣٧٨ . الشوكاني ٥/٣٢٨ ، ٤٩٢ . الآلوسی ٢٩/١٦٣ .

(٣) القرطبي ١١/١٤٧ — ٨ . وأتى به غير منسوب : ابن قتيبة ٥٥٨ . الطوسي ٣٠/٣٨٠ . الشوكاني ٥/٤٦٨ ، ٤٩٢ ، ٤٩٨ . الآلوسی ٣٠/٢٣٩ — ٤٠ .

(٤) جامع ٢٩/١٠٢ . القرطبي ١٩/٨٤ . الشوكاني ٥/٣٢٨ . وانظر الطوسي ٢٩/١١٨ . الطبرسي ٢٩/١١٨ . القرطبي ١١/١٤٧ ، ٢٠/١٨٤ .

(٥) الكشف ٤/٦٤٨ ، ٦٥٣ ، ٧٧٧ — ٩ ، ٧٩٦ . أبو حيان ٨/٣٧٨ ، ٤٩٣ ، ٤٩٥ ، ٥١٠ . وأتى به دون نسبة : الرازي ٣٠/١٨٣ ، ٣٢/٢٣ ، ٢٦/٨٨ . الشوكاني ٥/٤٦٩ . الآلوسی ٢٩/١٦٣ ، ٣٠/٢٩٥ .

(٦) الكشف ٤/٧٩٢ .

(٧) الكشف ٤/٦٥٣ .

ونقل أبو حيان أن بعضهم جعلها استفتاحية ^(١) .
وقصرها الألوسی ذات مرة على الزجر ^(٢) .
وانفرد القرطبي بأنه لا يوجد في النصف الأول من المصحف ذكر لكلا، وإنما
جاء ذكرها في النصف الثاني ^(٣) .

ولا حظ د . يوسف خليف — من الظواهر الأسلوبية — اقتران القسم في
القرآن بأداة الزجر والردع " كلا " ، وهي من خصائص الأسلوب القرآني في
المرحلة المكية . وقد ورد ذلك في خمس آيات كلها مكية :

- ﴿ كَلَّا وَالْقَمَرَ ﴾ المدثر ٣٢ .
- ﴿ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴾ العلق ١٥ .
- ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ التكاثر ٣ .
- ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ التكاثر ٤ .
- ﴿ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴾ الهمزة ٤ ^(٤) .

(١) البحر ٣٧٨ / ٨ . الشوكاني ٤٩٨ / ٥ . الألوسی ١٦٣ / ٢٩ .

(٢) روح ١٦٣ / ٢٩ .

(٣) الجامع ١٤٧ / ١١ .

(٤) دراسات ١١٠ .

ب . دخول اللام على القسم

ووردت قراءة للآيات ، تقتصر على اللام ، وتطرح الألف ، وتجعل الآيات :
(لَأُقْسِمُ) .

وقد نسب ابن الجوزي وحده هذه القراءة لابن عباس ^(١) ولجاهد بن جبر ^(٢) ،
وعكرمة بن عبد الله ^(٣) . ولكن غيره من العلماء نسبوها إلى الحسن البصري .
وكان منهم من اكتفى بنسبتها إليه وحده ^(٤) . ومنهم من جعل الحسن واحدا
من أصحاب هذه القراءة ^(٥) .

١ . لام قسم

وأقدم من أجاز كونها لام قسم الفراء ، وإن كان أجازها على ضعف ، أشعر
به في عبارته التي قال فيها : كان بعض من لم يعرف هذه الجهة [يريد تفسير النفي]
— فيما نرى — يقرأ (لَأُقْسِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ، وهو صواب ، لأن العرب
تقول : لأحلف بالله ليكونن كذا وكذا . يجعلونه لا ما بغير معنى (لا) ^(٦) .

(١) زاد ٤١٥ / ٨ .

(٢) زاد ٤١٥ / ٨ ، ١٢٦ / ٩ .

(٣) زاد ٤١٥ / ٨ ، ١٢٦ / ٩ .

(٤) الفراء ٢٠٧ / ٣ . الزمخشري ٤٦٨ / ٤ . الرازي ١٩٠ / ٣٠ . ابن الجوزي ٨ / ١٥٠ .

أبو حيان ٨ / ٣٢٨ .

(٥) الطبري ١٠٨ / ٢٩ . ابن جني ٣٠٩ / ٢ . الطوسي ١٨٩ / ١٠ . ابن الجوزي ٨ / ٤١٥ . القرطبي

١٧ / ٢٢٣ ، ٩٢ / ١٩ ، ٥٩ / ٢٠ . أبو حيان ٢١٣ / ٨ ، ٣٢٨ . الآلوسي ٢٧ / ١٥٢ .

(٦) معاني ٢٠٧ / ٣ . وانظر الطبرسي ١٢١ / ٢٩ ، ١٢٣ . الرازي ٣٠ / ١٩٠ . القرطبي

٩١ / ١٩ . الآلوسي ٢٧ / ١٥٢ ، ١٧١ / ٣٠ .

وطعن أبو عبيدة في هذه القراءة وقال : لو كان المراد هذا ، لقال لأقسم ، لأن العرب لا تقول : لأفعل كذا ، وإنما يقولون : لأفعلن كذا^(١).

وجعلها الطبري لام القسم^(٢) ، وإبراهيم بن السري الزجاج (٢٤١ — ٣١١ / ٨٥٥ — ٩٢٣) لام القسم والتوكيد^(٣) .
وجعلها الطوسي لام تأكيد فقط^(٤) .

ونقل الطبرسي عن أبي علي الفارسي أنه رفض أن تكون اللام للقسم ، لأن القسم لا يدخل على القسم^(٥) .

ووافق الزمخشري على صحة القراءة ، واحتج بأن الآيات كانت في مصحف عثمان المعروف بالمصحف الإمام لاما بغير ألف^(٦) .

ولكنه اعترض على القول بأنها للقسم ، محتجا بأمرين يعودان إلى ما قاله أبو عبيدة ، وهما :

- ١ - حق لام القسم أن يقرن بها النون المؤكدة ، والإخلال بها ضعيف قبيح .
- ٢ - أن (لأفعلن) في جواب القسم للاستقبال ، وفعل القسم يجب أن يكون للحال^(٧) .

(١) الرازي ١٩٠/٣٠ ولم أجده في مجاز القرآن . وانظر الطوسي ١٨٩/١٠ . الزمخشري

٤٦٨/٤ . الطبرسي ١٢١/٢٩ ، ١٢٣ . ابن الجوزي ٤١٥/٨ ، ١٢٦/٩ . القرطبي

٢٢٣/١٧ . الآلوسي ٢٧/١٥٢ ، ٣٠/١٧١ .

(٢) جامع ١٠٨/٢٩ . وانظر الآلوسي ٣٠/١٧١ .

(٣) ابن الجوزي ٤١٥/٨ .

(٤) التبيان ١٨٩/١٠ . الطبرسي ١٢١/٢٩ ، ١٢٣ . الآلوسي ٢٩/١٧١ .

(٥) مجمع ١٢٣/٢٩ .

(٦) الكشف ٦٥٩/٤ . الرازي ٣٠/١٩٠ .

(٧) الكشف ٤٦٨/٤ . أبو حيان ٢١٣/٨ . وانظر الآلوسي ٢٧/١٥٢ .

واتفق الرازى مع المعترضين محتجا بما يلى :

١ - هذه القراءة شاذة . فهب أن هذا الشاذ استمر ، فما الوجه فى القراءة

المشهورة المتواترة ، ولا يمكن دفعها وإلا لكان ذلك قدحا فيما ثبت بالتواتر .

٢ - أيضا لابد من إضمار قسم آخر لتكون هذه اللام جوابا عنه ، فيكون

التقدير: والله ، لأقسم بيوم القيامة ، فيكون ذلك قسما على قسم . وإنه ركيك ، ويفضى إلى التسلسل^(١) .

ورد أبو حيان على حجتى الزمخشري فأعلن :

• أما الأمر الأول ففيه خلاف . فالذى قاله قول البصريين . وأما

الكوفيون فيختارون ذلك ، ولكن يميزون تعاقبهما ، فيجيزون :
لأضربن زيدا ، وأضرب زيدا .

• وأما الثانى فصحيح ، لكنه هو الذى رجح عندنا أن تكون اللام فى

﴿لَا أَقْسِمُ﴾ لام القسم ، وأقسم فعل حال . والقسم قد يكون

جوابا للقسم كما قال: ﴿وَلَيَخْلِفَنَّ إِنَّ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى﴾^(٢) فاللام

فى ﴿وَلَيَخْلِفَنَّ﴾ جواب قسم ، وهو قسم . لكنه لما لم يكن حلفهم

حالا بل مستقبلا ، لزمت النون ، وهى محلصة المضارع

للاستقبال^(٣) .

(١) مفاتيح ٣٠ / ١٩٠ .

(٢) سورة التوبة ١٠٧ .

(٣) البحر ٨ / ٢١٣ . وانظر الآلوسى ٢٧ / ١٥٢ .

٢ . لام ابتدائية

وخرَج أبو الفتح عثمان بن جنى القراءة على تقدير مبتدأ محذوف، أى فلأنا أقسم^(١).

وتبعه الزمخشري وزاد من توضيح كلامه فقال : المعنى فلأنا أقسم . دخلت اللام على جملة من مبتدأ وخبره ، وهى أنا أقسم ، كقولك : لزيد منطلق . ثم حذف المبتدأ ، وأدخلت اللام على الخبر (أقسم)^(٢).

وأورد الآلوسى اعتراضا على هذا القول ذكر فيه أن المبتدأ إذا دخل عليه لام الابتداء يمتنع حذفه أو يقبح ، لأن دخولها لتأكيد ، وهو يقتضى الاعتناء به ، وحذفه يدل على خلافه^(٣).

تكشف هذه الجولة أن عبد الله بن عباس وسعيد بن جبير نُسب إليهما أكثر من رأى، بل يتعارض المنسوب إلى الثانى منهما .

وكلمة صلة التى أطلقها الرجلان على (لا) كلمة مبهمة، على الرغم من شيوعها بين المفسرين . ولذلك وصفها من روى الطوسى قوله بأنها صلة مؤكدة ، ومن روى الرازى قوله بأنها صلة زائدة^(٤).

(١) المحتسب ٣٠٩ / ٢ . الطبرسى ١٢٣ / ٢٩ . أبو حيان ٢١٣ / ٨ . وأتى به غير منسوب :

الزمخشري ٤ / ٤٦٨ ، ٦٥٩ . القرطبي ١٧ / ٢٢٣ . النيسابورى ٢٩ / ٩٧ . الشوكاني

٥ / ١٥٨ . الآلوسى ٢٧ / ١٥٢ ، ٢٩ / ١٧١ ، ٣٠ / ١٣١ . حمودة ٢٦ .

(٢) الكشف ٤ / ٤٦٨ ، ٦٥٩ . وأتى به غير منسوب : الرازى ٣٠ / ١٩٠ .

(٣) روح ٢٧ / ١٥٢ .

(٤) انظر الطبرسى ٢٩ / ٢١ . الآلوسى ٢٩ / ١٧٠ أيضا .

وأعتقد أنها أطلقت من قبيل التأدب في وصف ما يتصل بالقرآن ، وأن
وصف ابن عباس إياها بأنها مؤكدة، ووصفه هو وسعيد بن جبير بأنها صلة،
ووصف ابن جبير بأنها زائدة ، كلها تؤول إلى مدلول واحد، هو الذى صاغه
الزمخشري " زائدة مؤكدة " .

أما كونها زائدة موطئة للنفى فقد دار حوله جدل كثير، بسبب مجيء (لا)
في القسم عليه المثبت أحيانا ، وإن قل كثيرا عن القسم عليه المنفى . وأقرب
الأقوال إلى الشمول في هذا الصدد كلام ابن المنير .

وجمع ابن قتيبة جمعا غريبا بين القول بأنها صلة ، وقول الفراء بأنها نافية ترد
على من كذبوا بيوم القيامة ^(١) .

(١) غريب ٤٩٩ .

ج - صيغ القسم

لم يستخدم القرآن في — أقسامه — أسلوبا واحدا بل استخدم عدة أساليب ، قال سيبويه : اعلم أن من الأفعال أشياء فيها معنى اليمين، يجرى الفعل بعدها مجراه بعد قولك : والله ، وذلك قولك أقسم لأفعلن ، وأشهد لأفعلن^(١) .

فهذه الأشياء فيها معنى القسم، ومعناها كمعنى الاسم المجرور بالواو . وتصديق هذا قول العرب : على عهد الله لأفعلن . فعهد مرتفعة، وعلى مستقر لها، وفيها معنى اليمين^(٢) .

ومثل ذلك: يعلم الله لأفعلن . فأعرابه كإعراب (يذهب زيد) والمعنى: والله لأفعلن^(٣) .

وقال أبو علي الفارسي في "الحجة" : الألفاظ الجارية مجرى القسم ضربان : أحدهما : ما تكون جارية كغيرها من الأخبار التي ليست بقسم ، فلا تجاب بجوابه . كقوله : ﴿ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^(٤) و ﴿ فَيَخْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَخْلِفُونَ لَكُمْ ﴾^(٥) . فهذا ونحوه يجوز أن يكون قسما، وأن يكون حالا لخلوه من الجواب .

(١) الكتاب ١٠١ / ٣ . الفراهي ٢٣ .

(٢) الكتاب ٥٠٣ / ٣ .

(٣) الكتاب ٥٠٤ / ٣ .

(٤) سورة الحديد ٨ .

(٥) سورة المجادلة ١٨ .

والثاني : ما يتعلق بجواب القسم ، كقوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَهُ ﴾ ^(١) .

وذكر الفراهي أن اليمين والنذر والألية والقسم والحلف كلمات كثر استعمالها للقسم ^(٢) .

وقال مناع القطان : إذا كان القسم يأتي لتأكيد المقسم عليه ، فإن بعض الأفعال يجري مجراه ، إذا كان سياق الكلام في معناه . واستشهد بآية آل عمران وغيرها ^(٣) .

وقال د . بكرى شيخ أمين : ليس — إذن — للقسم لفظ واحد، وإنما له أساليب متعددة، ودلالات مختلفة، وألفاظ عدة ^(٤) .

(١) سورة آل عمران ١٨٧ . الزركشى ١ / ٤٥ — ٦ . معترك ١ / ٤٥٢ . الإتيان ٢ / ١٧٠ .

قمحاوى ٣ / ٢٥ . وأتى به غير منسوب : العمرى ٢٤٩ .

(٢) إمعان ١٩ ، ٢٠ . وانظر السامرائى ٤٧ .

(٣) مباحث ٣٠٨ .

(٤) التعبير ٢٣٨ .

١ - الشهادة

فسّر عبد الله بن عباس الشهادة في آية الوصية ^(١) باليمين ^(٢). ونسب ابن الجوزي هذا التفسير إلى مجاهد ^(٣).

وذكر الطبري أن للشهادة عدة معان ، ولكن أولى المعاني بقوله تعالى : ﴿ شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ ﴾ اليمين ^(٤). وكذلك فعل في آيات اللعان ^(٥). وعلل التسمية بأنها مأخوذة من قول القائل : أشهد بالله إنه لمن الصادقين فيما رمى به زوجته ^(٦).
وذكر القرطبي أن أبا بكر عبد الله بن أحمد القفال (٣٢٧ - ٤١٧ / ٩٣٨ - ١٠٢٦) اختار هذا القول ^(٧).

(١) سورة المائدة ١٠٦ .

(٢) الطبرسي ٢٢٨ / ٧ . أبو حيان ٤٦ / ٤ . الآلوسي ٥١ / ٧ .

(٣) زاد ٤٤٥ .

(٤) جامع ٦٦ / ٧ ، ٧٩ ، ١٨ / ٦٤ . ابن عطية ٨٢ / ٥ . القرطبي ٣٤٨ ، ٣٥٩ . الطوسي ٤٢ / ٤ . البغوي ٣ / ١٤ . الزمخشري ١ / ٦٨٨ . ابن العربي ٢ / ٧١٠ - ١ . ابن الجوزي ٢ / ٤٤٥ ، ٤٥٢ . الرازي ٣٠ / ٨٣ . أبو حيان ٤ / ٤٠ ، ٤٦ . الآلوسي ٧ / ٥١ ، ٢٨ / ١٠٥ . المنار ٧ / ٢١٩ .

(٥) سورة النور ٦ - ٩ . جامع ١٨ / ٦٤ . البغوي ٣ / ١١٤ . القرطبي ٦ / ٣٤٧ . الآلوسي ٧ / ٥١ .

(٦) جامع ١٨ / ٦٤ . وأتى به دون نسبة : الطوسي ٤ / ٤٢ .

(٧) الجامع ٦ / ٣٤٨ .

وخالفهم الطوسى ورأى تفسير الشهادة بما يُدلى به عند الحكام لإقامة الحقوق أقوى وأليق بالقصة ^(١) .

وذهب الراغب الأصفهاني إلى أن الفعل (شهد) على ضربين :
أحدهما جار مجرى العلم .

والثاني مجرى مجرى القسم . فيقال أشهد بالله أن زيدا منطلق، فيكون قسما .
ومنهم من يقول : إن قال : أشهد، ولم يقل : بالله ، يكون قسما أيضا ^(٢) .

وعلل الطبرسى التسمية بأن اليمين كالشهادة فيما يحلف عليه ^(٣) .

واستدل الزركشى على تفسير (نشهد) في سورة المنافقون بـ (نحلف)
بقوله تعالى : ﴿ آتخذوا أيمانهم جُنَّةً ﴾ ^(٤) .

وذكر عبد الحميد الفراهي أن للقسم كلمات لم تذهل عن معانيها الأصلية،
أى لم تفقدها .

(١) البيان ٤٢/٤ . وأتى به دون نسبة : الطبرسى ٧/٢٢٢ . ابن عطية ٥/٨٣ . القرطبي ٦/٣٤٨ .

(٢) المفردات ٢٦٨ . وأتى به دون نسبة : المنار ٧/٢١٩ .

(٣) مجمع ٧/٢٢٨ . الآلوسى ٧/٥١ . وأتى به دون نسبة : ابن الجوزى ٢/٤٥٢ . القرطبي ٦/٣٤٨ . أبو حيان ٤/٤٦ .

(٤) الآيتان ١، ٢ . البرهان ٣/٤٥ . وانظر معترك ١/٤٥٠ . الإتيقان ٢/١٦٩ .
الفراهي ٢٣ . القاضى ٨٤ . المدخل ١/٥٠٠ .

وذكر منها " الشهادة " . وقال في تعليل ذلك والبرهنة عليه : لم يكونوا يقسمون إلا على رؤوس الأشهاد، الذين كانوا شهداء على أيمانهم لتأكيدهم . فإن الرجل يجتنب أن يجعل نفسه كاذبا في عيون الناس . وأصل هذا التأكيد أن المرء إذا قال : أشهد به ، فقد صرح بأنه يقول بعلمه ومشهده لا بسماعه ، فلا يمكن له العذر إن كذب .

ثم ترى صريح قولهم في أقسامهم : أنا أشهد ، والله يشهد ، والله يعلم . وهذا في أكثر اللغات . فإننا نرى الأمم في المشرق والمغرب — مع اختلاف كثير في عاداتهم — لا يختلفون في أنهم إذا قالوا : الله شهيد على ذلك ، أو ما يشبهه ، فقد أرادوا به القسم ^(١) .

وفصل هذه القضية ما جاء في القرآن من التصريح بكون الشهادة والإشهاد يمينا ، حيث قال : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ^(٢) فسمى الشهادة منهم أيمانهم ^(٣) .

(١) إمعان ٢١ — ٣ ، ٣١ — ٢ .

(٢) سورة المنافقون ١ — ٢ .

(٣) إمعان ٢٣ . أمين ٢٣٨ .

٢ . اللام

اتفق النحاة منذ شيخهم على وجود صلة بين أحد اللامات والقسم، غير أنهم اختلفوا كثيرا في التعبير عن هذه الصلة .

فقال سيويه : سألت الخليل عن قوله : لتفعلن ، إذا جاءت مبتدأة ليس قبلها ما يُحلف به . فقال : إنما جاءت على نية اليمين ، وإن لم يتكلم بالحلوف به . ومثل ذلك ﴿ لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ ﴾ ^(١) إنما دخلت على نية اليمين ^(٢) .

وقال يحيى بن زياد الفراء (١٤٤ — ٢٠٧ / ٧٦١ — ٨٢٢) : كأن اللام يمين، إذ صارت تُلقَى بجواب اليمين ، وهو وجه الكلام ^(٣) .

وأشهر ما أُطلق عليها وأوسعها انتشارا : لام القسم ^(٤) .

(١) سورة الأعراف ١٨ .

(٢) الكتاب ٣ / ١٠٦ ، ١٠٨ ، ٢١٧ / ٤ . وانظر أبو حيان ٢ / ٥١٠ . الفراهي ١٨ — ٩ .

أمين ٢٣٨ .

(٣) معاني ١ / ٢٢٥ .

(٤) الأخفش ٥١٤ . الطبري ٣ / ٢٣٥ ، ٨ / ١٠٣ ، الطوسي ٢ / ٥١٤ — ٥ . الراغب ٤٦٠ .

البغوي ٣ / ٢١٩ . ابن عطية ٥ / ٤٥٠ . ابن الجوزي ١ / ٤١٥ ، ٣ / ١٧٨ . الرازي ٨ /

١٠٥ . القرطبي ٧ / ١٧٦ .

ووصفها الطبري بلام اليمين^(١)، والطوسي بالخلف من لام القسم^(٢)،
والزمخشري بالموطئة للقسم^(٣)، والطبرسي بالمتعلقة بالقسم^(٤)، والرازي بالمتقية
للقسم^(٥)، والقرطبي بمعتمد القسم^(٦).

وذكر الراغب الأصفهاني أنها تدخل على الاسم نحو قوله ﴿يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ
أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾^(٧) وعلى الفعل الماضي نحو ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي
الْأَلْبَابِ﴾^(٨) وعلى الفعل المستقبل، غير أنه تلزمها إحدى نوني التوكيد
نحو ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾^(٩).

وعلل الآلوسي تسميتها بالموطئة للقسم بأنها تسهل فهم الجواب على السامع^(١٠).
وعلق الفراهي على قول سيويه قائلا: وعلى هذا الأصل كل ما ترى في القرآن
من لام اليمين^(١١).

وأحب أن أذكر أن كثيرا من العلماء أورد أكثر من اسم من الأسماء التي
ذكرتها، كما تبين التعليقات.

(١) جامع ٣ / ٢٣٥ . الفراهي ١٩ . أمين ٢٣٨ .

(٢) التبيان ٢ / ٥١٤ — ٥ .

(٣) الكشف ١ / ١٧٩ . أبو حيان ٢ / ٥٠٩ ، ٤ / ٥٧٧ . الشوكاني ٥ / ٤٦٩ . الآلوسي
٢١٠ / ٣ ، ٢٣٩ / ٣٠ .

(٤) المحرر ٣ / ١٩٥ . الطبرسي ٣ / ١٢٩ .

(٥) مفاتيح ٨ / ١٠٣ .

(٦) الجامع ٤ / ١٢٥ .

(٧) سورة الحج ١٣ .

(٨) سورة يوسف ١١١ .

(٩) سورة آل عمران ٨١ .

(١٠) روح ٣ / ٢١٠ .

(١١) إمعان ١٨ — ٩ . أمين ٢٣٨ .

٣ . مثابة القسم

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى (١١٠ - ٢٠٩ / ٧٢٨ - ٨٢٤)
عن قوله تعالى : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ﴾ ^(١) مجازها مجاز القسم ،
كقولك : والذى أخرجك ربك ، لأن (ما) فى موضع (الذى) ^(٢) . أراد أنها
بمثابة القسم .

٤ . القسم

ونقل الرازى عن على بن أحمد الواحدى (١٠٧٦ / ٤٦٨) قال : إنما سمي
اليمين بالقسم لأن اليمين موضوعة لتوكيد الخبر الذى يخبر به الإنسان : إما مثبتا
للشئ وإما نافيا . ولما كان الخبر يدخله الصدق والكذب ، احتاج المخبر إلى طريق
به يتوصل إلى ترجيح جانب الصدق على جانب الكذب ، وذلك هو الحلف . ولما
كانت الحاجة إلى ذكر الحلف إنما تحصل عند انقسام الناس — عند سماع ذلك الخبر
— إلى مصدق به ومكذب ، سمو الحلف بالقسم . وبنوا تلك الصيغة على أفعل
فقالوا : أقسم فلان يُقسم إقساماً . وأرادوا أنه أكد القسم الذى اختاره ، وأحال
الصدق إلى القسم الذى اختاره بواسطة الحلف واليمين ^(٣) .

(١) سورة الأنفال ٥ .

(٢) مجاز ١ / ٢٤٠ .

(٣) مفاتيح ١٣ / ١١٧ .

وقال الراغب الأصفهاني: أقسم : حلف . وأصله من القسامة، وهي أيمان تُقسم على أولياء المقتول. ثم صار اسماً لكل حلف ، قال : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ ^(١) .

وقال الفراهي : أما القسم فهو — في أصله — للقطع ، ومنه قسمت الشيء وقسمته . والقطع يستعمل لنفي الريب والشبهة . ولذلك شواهد كالصريمة والجزم والقول الفصل والإبانة والصدع والقطع. فهذا هو الأصل . ثم اختص القسم من بين هذه الألفاظ بشدة الفصل بالقول. واستعماله من باب الإفعال لخاصية المبالغة ، كقولهم : أسفر الصبح ^(٢) .

وقال مناع القطان : الأقسام : جمع قَسَمَ ، بمعنى الحلف واليمين. والصيغة الأصلية للقسم أن يؤتى بالفعل أقسم أو أحلف، متعديا بالباء إلى المقسم به . ثم يأتى المقسم عليه ، وهو المسمى بجواب القسم ، كقوله : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَنْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ ﴾ ^(٣) .

وقال د . شعبان محمد إسماعيل : أما القسم فهو اسم مصدر أو المعنى الحاصل بالمصدر ^(٤) .

وقال د . يوسف خليف : اقتصر ورود مادة (ق س م) على الآيات المكية ^(٥) .

(١) سورة النحل ٣٨ . المفردات ٤٠٣ . المدخل ١ / ٤٩٩ . وأتى به غير منسوب : الألوسي

١٨ / ١٩٩ .

(٢) إمعان ٢٠ . أمين ٢٣٨ . وانظر المدخل ١ / ٤٩٩ .

(٣) سورة النحل ٣٨ . مباحث ٣٠٠ . وانظر أمين ٢٣٩ . شحاتة ٢٧٢ . السامرائي ٤٦ .

(٤) المدخل ١ / ٤٩٩ .

(٥) دراسات ٢١٢ .

٥ . الأليسة

ذكر الراغب الأصفهاني أن معنى آليت حلفت، كقوله : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو
الْفَضْلِ مِنْكُمْ ﴾ ^(١) . والأليّة : الحلف المقتضى لتقصير في الأمر الذي يُحلف عليه .
وجعل الإيلاء في الشرع للحلف المانع من جماع المرأة ^(٢) .

وقال الفراهي : ربما كفوا عن شيء من غير شرط ، وسموه ألية ، كما جاء في
القرآن : ﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ﴾ ^(٣) ثم توسع استعمالها
فصار قولهم آليت مرادف أقسمت . قال طرفة بن العبد :

فآليت لا ينفك كشحي بطانة لعضب رقيق الشفرتين مهند

وهذا كثير في كلامهم ^(٤) .

(١) سورة النور ٢٢ .

(٢) المفردات ٢٢ .

(٣) سورة البقرة ٢٢٦ .

(٤) إمعان ١٨ ، ٢٠ . أمين ٢٣٨ .

٦ . الحلف

قال الراغب الأصفهاني : الحلف : أصله اليمين الذي يأخذ بعضهم عن بعض بها العهد ، ثم عُبرَ به عن كل يمين ، قال : «وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ» ^(١) أى مكثار للحلف، وقال : «يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا» ^(٢).

وقال الفراهي : وأما الحلف فمعناه القطع والحدة، فيشابه كلمة القسم . يقال : سنان حليف : أى قاطع . ولسان حليف : أى حديد ذلق . وعند الأزهري : هذا مأخوذ من الحلف، وهو نبات أطرافه محددة . فقولهم : حلف على أمر، كقولهم : قطع به . وهذا هو الأصل . ثم اختص مثل القسم بشدة الفصل والجزم فى القول . ولذلك لا يلزمه المقسم به . ألا ترى أنهم إذا عقدوا الموالاة بينهم بأى طريق كانت سموها حلفا ؟ وقد علمت طرق الحلف المختلفة التى لم يحلفوا فيها بشيء ^(٣).

وصرح د . شعبان محمد إسماعيل : أما الحلف وأصله المخالفة والمعاهدة والتعاهد بين القوم . وعند حصول التحالف والتعاهد بين الناس يقع توكيدها بالآيمان . فصاروا يطلقون الحلف، ويريدون اليمين نفسه ^(٤).

(١) سورة القلم ١٠ .

(٢) سورة التوبة ٧٤ . المفردات ١٢٩ .

(٣) إمعان ٢١ . أمين ٢٣٨ .

(٤) المدخل ١ / ٥٠٠ . وانظر السامرائى ٤٦ .

وأعلن د. يوسف خليف : من الظواهر الطريفة أن مادة " حلف " لم ترد إلا في الآيات المدنية، ولم ترد في المكية إلا في آية واحدة ، هي : «وَلَا تُطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ» .

وفي كل مواضع ورودها جاءت في مقام الحنث باليمين . ومن هنا لم ترد مقترنة بالله . ولعل ذلك الذي جعل صاحبي لسان العرب والقاموس المحيط وغيرهما من علماء اللغة يذكرون أن الحلف معناه القسم ، غير أن الحلف الذي ورد في القرآن لا يصح أن يكون مرادفا للقسم . ولعله أيضا هو الذي جعل الزمخشري في " أساس البلاغة " يربط بين الحلف والحنث والأيمان الكاذبة ^(١).

٧ . العلم

وذهب الراغب الأصفهاني إلى أن علم تجرى مجرى شهد في القسم . ولذلك يجاب بجواب القسم نحو قول الشاعر

* ولقد علمتُ لتأتينَ منيَّ * ^(٢)

وقال الفراهي : كان من صريح قولهم في أقسامهم : الله يعلم ^(٣).

(١) دراسات ١١٢ .

(٢) المفردات ٢٦٨ .

(٣) إمعان ٢٣ ، ٣١ .

٨ - العهد

قال الراغب الأصفهاني: قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾^(١)
أى أوفوا بحفظ الأيمان^(٢).

٩ - اليمين

قال الراغب الأصفهاني: اليمين — فى الحلف — مستعار من اليد، اعتبارا بما
يفعله المعاهد والمخالف وغيره، قال: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا﴾^(٣).

وقال الفراهي: ربما عبروا عن التأكيد بأخذ اليمين، كما علمنا من أحوال
الروم والعرب والعبرانيين. فإذا أخذ بعضهم يمين بعض عند المعاهدة، أفصحوا
بعزمهم وتأكيده، كأنهم قالوا: إنا قد وصلنا أمرنا ورهنا به أيماننا. ولذلك سموا
القسم يمينا. وربما صرحوا بهذا المعنى كما قال جساس:

سأؤدى حق جارى ويدي رهن فعلى

ومن هنا تضمن القسم معنى الكفالة والضمانة. وهذا معلوم وباق فى أخذ
اليمين للبيعة، وصفق اليد فى البيع والشراء^(٤).

(١) سورة الإسراء ٣٤ .

(٢) المفردات ٣٥٠ .

(٣) سورة القلم ٣٩ . المفردات ٥٥٣ .

(٤) إمعان ١٤ — ٥ . وانظر حسين ٤٥ . القطان ٣٠١ . أمين ٢٣٧ . شحاتة ٢٧٢ .

المدخل ١ / ٥٠٠ . السامرائى ٤٧ — ٥٠ .

ونرى العبرانيين عبروا عن القسم باليمين . فجاء في الزبور : « الذين أفواههم تنطق سوءاً ، ويمينهم يمين كذب » ^(١) .

التفرقة بين الصيغ

لما كانت صيغ القسم متعددة، فقد حاول بعض العلماء التمييز بينها. فقال أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (بعد ٣٩٥/١٠٠٥) : القسم أبلغ من الحلف ، لأن معنى قولنا : أقسم بالله ، أنه صار ذا قسم بالله . والقسم : النصيب . والمراد أن الذى أقسم عليه من المال وغيره ، قد أحرزه ودفع عنه الخصم بالله . والحلف من قولك : سيف حليف ، أى قاطع ماض . فإذا قلت : حلف بالله ، فكأنك قلت : قطع المخاصمة بالله .

فالأول أبلغ كأنه يتضمن معنى الآخر، مع دفع الخصم ، ففيه معنيان . وقولنا : حلف ، يفيد معنى واحداً ، وهو قطع المخاصمة فقط . وذلك أن من أحرز الشيء باستحقاق فى الظاهر ، فلا خصومة بينه وبين أحد فيه . وليس كل من دفع الخصومة فى الشيء فقد أحرزه .

واليمين اسم للقسم مستعار . وذلك أنهم — إذا تقاسموا على شيء — تصافقوا بأيمانهم ، ثم كثر ذلك حتى سمي القسم يمينا ^(٢) .

(١) إمعان ١٥ .

(٢) الفروق ٤٧ . إسماعيل ٣٧٣ .

وقال الفراهي : ذكرنا أن القسم ربما يهين قدر المرء ويذهب بشرفه . فانظر كيف ينبه القرآن على هذا الأمر ، باستعماله كلمة " الحلف " فيمن يصغر نفسه بيمينه ، ويلح حيث لا يلح شريف . فتري في سورة براءة ذكر القسم من المنافقين في سبعة مواضع ، لم يأت به إلا بكلمة الحلف لدناءتهم وكذبهم في اعتذارهم . وما جاءت هذه الكلمة في سائر القرآن إلا حيث تشنع لما فيها من قلة المبالاة بشرف النفس ، والتزوع إلى مايلقيها في الكذب والإلحاح . ولذلك لما أراد النابغة الذبياني الغلو في تضرعه عند النعمان بن المنذر قال :

حلفت ، فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب

وهو أبلغ الشعراء عند الرهبة . ولذلك قيل : "أشعرهم امرؤ القيس إذا ركب ، والأعشى إذا طرب ، وعنترة إذا غضب ، والنابغة إذا رهب " ^(١) .

(١) إمعان ٦٥ .

د - أدوات القسم

أول من تصدى لأدوات القسم الخليل بن أحمد وتلميذه سيبويه . قال الثاني في كتابه : للقسم والمقسم به أدوات في حروف الجر .
وأكثرها الواو ، ثم الباء ، ويدخلان على كل محلوف به ^(١) .
ثم التاء ، ولا تدخل إلا في واحد { هو لفظ الجلالة } ^(٢) ، وذلك قولك :
والله لأفعلن ، وبالله لأفعلن ، ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ ﴾ ^(٣) .
وقال الخليل : إنما تجيء بهذه الحروف لأنك تضيف حلفك إلى المحلوف به ،
كما تضيف مررت به بالباء ، إلا أن الفعل يجيء مضمرا في هذا الباب . والحلف
توكيد ^(٤) .

وقد نقول : تالله ، وفيها معنى التعجب ^(٥) .
والواو لازمة لكل اسم يُقسم به ، والباء ^(٦) .

(١) ٤٩٦ / ٣ ، ٢١٧ / ٤ .

(٢) ٤٩٦ / ٣ ، ٤٩٩ ، ٢١٧ / ٤ . أبو حيان ٣٢١ / ٦ . وأتى به غير منسوب : الطوسى
٢٢٨ / ٧ . القرطبي ٢٩٧ / ١١ . ابن القيم ٤٩ / ١ . ابن هشام ١٢٣ / ١ . معترك
١ / ٥٤ . الإتيان ١٧١ / ٢ . القطان ٣٠١ . أمين ٢٣٩ . شحاتة ٢٧٢ . المدخل
١ / ٥٠١ . خليف ١١٢ . إسماعيل ٣٦٩ .

(٣) سورة الأنبياء ٥٧ . الكتاب ٤٩٦ / ٣ .

(٤) الكتاب ٤٩٧ / ٣ .

(٥) الكتاب ٤٩٧ / ٣ . وانظر الزمخشري ١٢٢ / ٣ . أبو حيان ٣٢٢ / ٦ . ابن هشام ١٢٣ / ١ .

الآلوسى ٦١ / ١٧ .

(٦) الكتاب ٤٩٩ / ٣ .

وعلل الطوسي اختصاص التاء باسم الله بأنها بدل من الواو ^(١)، والواو بدل من الباء ^(٢)، فهي بدل من بدل ^(٣).

وميز النخشي بين هذه الحروف فقال : فإن قلت : ما الفرق بين الباء والتاء ؟

قلت : إن الباء هي الأصل ^(٤)، والتاء بدل من الواو المبدلة منها ^(٥).
وواو القسم مُطَّرَح معها إبراز الفعل اطراحا كليا ^(٦). فكان لها شأن خلاف شأن الباء: حيث أبرز معها الفعل وأضمر ^(٧). فكانت الواو قائمة مقام الفعل والباء، سادة مسدّهما معا . والواوات العاطفات نواب عن هذه الواو ^(٨).

(١) التبيان ٢٢٨ / ٧ . وانظر الرازي ١٥٧ / ٢٢ . أبو حيان ٣٢٢ / ٦ . الآلوسی ٦١ / ١٧ .

(٢) التبيان ٢٢٨ / ٧ . وانظر القرطبي ١٤٣ / ١٥ . ابن القيم ٤٨ / ١ - ٩ . معترك ٤٥٤ / ١ .

الإتقان ١٧١ / ٢ . القطان ٣٠١ . أمين ٢٣٩ . شحاتة ٢٧٢ . المدخل ٥٠١ / ١ .

قمحاوی ٢٦ / ٣ . العمری ٢٤٧ . إسماعيل ٣٦٩ .

(٣) التبيان ٢٢٨ / ٧ .

(٤) الكشف ١٢٢ / ٣ . أبو حيان ٣٢١ / ٦ . وأتى به دون نسبة : الرازي ١٥٧ / ٢٢ .

أبو حيان ٣٢٢ / ٦ . الآلوسی ٦١ / ١٧ .

(٥) الكشف ١٢٢ / ٣ . وأتى به دون نسبة : الرازي ١٥٧ / ٢٢ . أبو حيان ٣٢٢ / ٦ .

الآلوسی ٦١ / ١٧ . الفراهي ٢٢ .

(٦) الكشف ٧٥٨ / ٤ . وأتى به غير منسوب : أبو حيان ٤٨٠ / ٨ . الآلوسی ١٨٠ / ٣٠ .

إسماعيل ٣٦٩ .

(٧) الكشف ٧٥٨ / ٤ . وأتى به غير منسوب : أبو حيان ٤٨٠ / ٨ . ابن هشام ١١٢ / ١ .

الآلوسی ٦١ / ١٧ ، ١٨٠ / ٣٠ . العمری ٢٤٩ .

(٨) الكشف ٧٥٨ / ٤ . وأتى به غير منسوب : أبو حيان ٤٨٠ / ٨ . الآلوسی ٦١ / ١٧ .

العمری ٢٤٩ .

وذهب الرازي إلى أنه ليس للقسم — في الأصل — حرف . لكن الباء والواو استعملتا فيه لمعنى عارض . وذلك لأن الباء التي في أصل القسم هي الباء التي للإلصاق والاستعانة . فكما يقول القائل : استعنت بالله ، وكتبت بالقلم ، يقول أيضا : أقسمت بالله ^(١) .

ولما كثر القسم في الكلام ، استُغنى عن ذكره ، على حين لم يكثر غيره من الاستعمالات كثرته ، فلم يُستغنَ عنه ^(٢) .

ثم خشى المتكلم أن يقع التباس ، فأبدل الباء تاء ^(٣) . وبقيت خشية المتكلم أن تلتبس تاء القسم هذه بتاء الخطاب والتأنيث فأبدلها واوا ^(٤) .

وعلل أبو حيان عد الزمخشري الباء أصل حروف القسم بأنها أوسع هذه الحروف ، إذ تدخل على الظاهر والمضمر ^(٥) ، ويُصرَّح بفعل القسم معها ويحذف ^(٦) .

وعلق على قوله إن بعض هذه الحروف مبدل من بعض بأن هذا شيء قاله كثير من النحاة ، ولا يقوم عليه دليل . وقد رد عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (٥٠٨ — ٥٨١ / ١١١٤ — ١١٨٥) هذا القول . والذي يقتضيه النظر أنه ليس شيء منها أصلا لآخر ^(٧) .

(١) مفاتيح ٢٨ / ٢٤٠ .

(٢) مفاتيح ٢٨ / ٢٤٠ . وانظر ابن القيم ٤٨ / ١ .

(٣) مفاتيح ٢٨ / ٢٤٠ .

(٤) مفاتيح ٢٨ / ٢٤٠ — ١ .

(٥) البحر ٦ / ٣٢١ . وانظر ابن هشام ١ / ١١٢ . الآلوسي ١٧ / ٦١ .

(٦) البحر ٦ / ٣٢٢ . وانظر ابن هشام ١ / ١١٢ . الآلوسي ١٧ / ٦١ .

(٧) البحر ٦ / ٣٢٢ . الآلوسي ١٧ / ٦١ .

وعلى زيادة التعجب في التاء فقال : نصوص النحاة أن التاء يجوز أن يكون معها تعجب ويجوز ألا يكون^(١)، واللام هي التي يلزمها التعجب في القسم^(٢).
وقد رأينا أنفا نص سيبويه لا يتفق كل الاتفاق مع ما قاله أبو حيان عن التاء، وإنما يتفق معه في اللام، فقد قال سيبويه : ولا تجيء اللام إلا أن يكون فيها معنى التعجب^(٣).

وأجل ابن القيم الآراء فقال : لما كان القسم يكثر في الكلام اختصر، فصار فعل القسم يحذف ، ويكتفى بالباء. ثم عوض من الباء الواو في الأسماء الظاهرة^(٤)، والتاء في اسم الله . وقد نُقل : تَرَبَّ الكعبة^(٥).
وتبع ابن هشام أبا حيان فقال : خصت الباء — لكونها أصل حروف القسم — بما يلي :

- جواز ذكر الفعل معها نحو : أقسم بالله لتفعلن .
- دخولها على الضمير نحو : بك لأفعلن .
- استعمالها في القسم الاستعطافي نحو : بالله هل قام زيد ؟ أى أسألك بالله مستحلفا^(٦).

(١) البحر ٦ / ٣٢٢ . الآلوسی ١٧ / ٦١ :

(٢) البحر ٦ / ٣٢٢ . الآلوسی ١٧ / ٦١ .

(٣) ٣ / ٤٩٧ .

(٤) التبيان ١ / ٤٨ — ٩ . معترك ١ / ٤٥٣ — ٤ . الإتيان ٢ / ١٧١ . قمحاوی ٣ / ٢٦ .

وأتى به دون نسبة : القطان ٣٠١ . أمين ٢٣٩ . شحاتة ٢٧٣ . وانظر ابن هشام ١ / ٤٠٠ .

المدخل ١ / ٥٠١ . العمرى ٢٤٧ . إسماعيل ٣٦٩ .

(٥) التبيان ١ / ٤٩ .

(٦) مغني ١ / ١١٢ . وأتى به دون نسبة : إسماعيل ٣٦٩ .

وسوغ الآلوسى قول الزمخشري بأن الواو قائمة مقام الباء بالمناسبة بينهما،
من حيث كونهما شفويتين ، ومن حيث أن الواو تفيد معنى قريبا من معنى الإلصاق،
على ما ذكره كثير من النحاة^(١) .

وعنيت د . عائشة عبد الرحمن بالقسم بالواو بخاصة. فوجدت أن القسم بها
في مستهل السور جاء مع : الضحى ، والليل ، والفجر : وليال عشر، والعصر،
والتين، والزيتون، والنجم إذا هوى، والعاديات ضبحا ، والنازعات عرفا ،
والذاريات ذروا ، والصفات صفا ، والسماء والطارق ، والسماء ذات البروج،
والشمس وضحاها ، والطور وكتاب مسطور^(٢)، وكلها سور مكية . ولم تأت
سورة مدنية مبدوءة بهذه الواو^(٣) .

وجاء القسم " والليل " وحده ست مرات، يطردها مجيء الواو في صدر
الآيات^(٤) .

ولاحظ د . يوسف خليف أن " تالله " وردت في الآيات المكية فقط^(٥) .

(١) روح ١٧ / ٦١ .

(٢) الإعجاز ٢٢٧ — ٨ . وانظر خليف ٩٩ .

(٣) الإعجاز ٢٢٨ . وانظر أمين ٢٤٦ . شحاتة ٢٧٨ . خليف ٩٨ .

(٤) الإعجاز ٢٢٩ .

(٥) دراسات ١١١ — ٢ .

تعدد المقسم به

ذهب الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠-١٧٠/٧١٨-٧٨١) إلى أن المقسم به إذا تعدد فالواو التي بين المقسمات بها واو عطف ولا تصلح أن تكون واو قسم أخرى .

روى عمرو بن عثمان المعروف بسيبويه (١٤٨-١٨٠/٧٦٥-٧٩٦) : قال الخليل في قوله — عز وجل : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ ^(١) الواوان الأخريان ليستا بمتزلة الأولى ، ولكنهما اللتان تضمنان الأسماء إلى الأسماء في قولك : مررت بزيد وعمرو ، والأولى بمتزلة الباء والتاء . ألا ترى أنك تقول : والله لأفعلن ، والله لأفعلن ، فتدخل واو العطف عليها كما تدخلها على الباء والتاء .

قلت للخليل : فلم لا تكون الأخريان بمتزلة الأولى ؟

فقال : إنما أقسم بهذه الأشياء على شيء واحد . ولو كان انقضى قسمه بالأول على شيء ، لجاز أن يستعمل كلاما آخر ، فيكون كقولك : بالله لأفعلن ، بالله لأخرجن اليوم . ولا يقوى أن تقول : وحقك وحق زيد لأفعلن ، والواو الآخرة واو قسم . لا يجوز إلا مستكرها ، لأنه لا يجوز هذا في محلوف عليه ، إلا أن تضم الآخر إلى الأول ، وتحلف بهما على المحلوف عليه ، وتقول : وحياتي ثم حياتك لأفعلن . فثم هاهنا بمتزلة الواو ^(٢) .

(١) سورة الليل ١ — ٣ .

(٢) الكتاب ٥٠١ / ٣ . الزمخشري ٢٥ / ١ . النيسابوري ١٢٤ / ١ . الألوسي ٢٣ / ٦٤ .

وانظر الأخفش ٧٤٠ . ابن هشام ١ / ٤٠٠ .

وعنى الزمخشري بالفاء الواقعة بين الأقسام المتعددة . فتساءل في سورة
الصفات : فإن قلت : ما حكم الفاء إذا جاءت عاطفة في الصفات ؟ .

قلت : إما أن تدل على ترتب معانيها في الوجود كقوله :

يا لهف زياية للحارث الصا بح فالغائم فالآئب

كأنه قيل : الذى صبح فغيم فآب ؛ وإما على ترتبها في التفاوت من بعض
الوجوه، كقولك: خذ الأفضل فالأكمل ؛ وإما على ترتب موصوفاتها في ذلك
كقوله : رحم الله الملقين فالقصرين ^(١).

وعلق الشوكاني على هذا القول : في الكل نظر ^(٢).

وقال الرازي : وقع القسم من الله بأمر واحد كما في قوله : «وَالْعَصْرِ»
وبحرف واحد ، كما في قوله : «ص» .

ووقع بأمرين كما في قوله : «وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى» وبحرفين كما في
قوله : «طه» .

وبثلاثة أمور كما في قوله : «والصفات ٠٠٠ فالزاجرات ٠٠٠ فالتاليات»
وبثلاثة أحرف كما في «ألم» .

وبأربعة أمور كما في «الذاريات» ، وبأربعة أحرف كما في «المص» .

وبخمسة أمور كما في «الطور» ، وبخمسة أحرف كما في «كهيعص» .

ولم يقسم بأكثر من خمسة أشياء إلا في سورة واحدة، وهي (الشمس) ، ولم
يقسم بأكثر من خمسة أصول ، لأنه يجمع كلمة الاستثقال ^(٣).

وفي موضع آخر ذكر أنه أقسم — في سورة الشمس — بسبعة أشياء ^(٤).

(١) الكشف ٤ / ٣٤ . أبو حيان ٧ / ٣٥١ — ٢ . وانظر الآلوسی ٢٣ / ٦٧ .

(٢) فتح ٤ / ٣٧٤ .

(٣) مفاتيح ٢٨ / ١٢٦ . (٤) مفاتيح ٣١ / ١٧٢ .

و- زیادة ای

قال سیبویه : تقول : إی واللہ ، ونعم واللہ^(١) ، أى أن الاثنين بمعنى واحد في القسم^(٢).

وأعلن عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢١٣-٢٧٦/٨٢٨-٨٨٩) أنها بمعنى بلى^(٣)، وأنها لا تأتي إلا قبل اليمين صلة لها^(٤)، واستشهد بقوله «وَيَسْتَبِثُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ»^(٥).

وقال الراغب الأصفهاني : إى كلمة موضوعة لتحقيق كلام متقدم^(٦). وذكر الزمخشري أنها ترد في القسم خاصة^(٧)، كما كان (هل) بمعنى (قد) في الاستفهام خاصة^(٨).

(١) الكتاب ٥٠١ / ٣ .

(٢) الكتاب ٥٠١ / ٣ . وانظر الطوسي ٣٩٢ / ٥ . البغوي ١٣٧ / ٤ . الزمخشري ٣٥٢ / ٢ .

ابن عطية ١٦٥ / ٦ : الطبرسي ٦ / ١١ . ابن الجوزي ٣٩ / ٤ . القسـرطبي ٣٥١ / ٨ . ابن هشام ٨٠ / ١ . الآلوسی ١٣٦ / ١١ .

(٣) تأويل ٤٢٤ .

(٤) تأويل ٤٢٤ . وانظر ابن عطية ١٦٥ / ٦ . أبو حيان ١٦٩ / ٥ .

(٥) سورة يونس ٥٣ .

(٦) المفردات ٣٤ .

(٧) الكشف ٣٥٢ / ٢ . أبو حيان ١٦٨ / ٥ . وانظر الآلوسی ١٣٦ / ١١ .

(٨) الكشف ٣٥٢ / ٢ . أبو حيان ١٦٨ / ٥ . وانظر الزركشي ٤٤ / ٣ . الآلوسی

١٣٦ / ١١ . المنار ٢٩٤ / ١١ .

وصرح ابن عطية بأنها يجيء بعدها حرف القسم وقد لا يجيء ، تقول: إى
وربى ، وإى ربى^(١) .
ووصفها القرطبي بأنها كلمة تحقيق وإيجاب وتأكيد^(٢) .

ز - اقتران القسم بالشرط

قال سيويه : لو قلت : والله ، إن تأتني آتكَ ، لم يجز . ولو قلت : والله من
يأتني آته ، كان محالا . واليمين لا تكون لغوا ، لأنها لآخر الكلام وما بينهما لا يمنع
الآخر أن يكون على اليمين .

وتقول : أنا - والله - إن تأتني لا آتكَ ، لأن الكلام مبنى على (أنا) .
فالقسم هاهنا لغو . فإذا بدأت بالقسم لم يجز إلا أن يكون عليه . ألا ترى أنك
تقول : لئن أتيتني لا أفعلُ ذاك ، لأنها لام قسم^(٣) .

ووضح الزركشى كلام سيويه فقال :
القسم والشرط يدخل كل منهما على الآخر، فإن تقدم القسم، ودخل
الشرط بينه وبين الجواب، كان الجواب للقسم، وأغنى عن جواب الشرط. وإن
عكس فبالعكس . فأيهما تصدر كان الاعتماد عليه ، والجواب له .

(١) المحرر ٦ / ١٦٥ . أبو حيان ٥ / ١٦٩ .

(٢) الجامع ٨ / ٣٥١ . وانظر الآلوسی ١١ / ١٣٦ .

(٣) الكتاب ٣ / ٨٤ .

ومن تقدّم القسم قوله : ﴿ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾ ^(١) تقديره : والله لئن لم تنته . . . فاللام الداخلة على الشرط ليست بلام القسم ، ولكنها زائدة ، وتسمى الموطنة للقسم . ويعنون بذلك أنها مؤذنة بأن جواب القسم منتظر ، أى الشرط لا يصلح أن يكون جوابا ، لأن الجواب لا يكون إلا خبرا .
والذى يدل على أن الجواب للقسم لا للشرط دخول اللام فيه ، وأنه ليس بمجزوم ؛ بدليل قوله ﴿ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾ ^(٢) . ولو كان جواب الشرط لكان مجزوما ^(٣) .

ج . القسم بالجموع والأفراد

ولاحظ الرازى أن القرآن أقسم فى بعض السور بالجموع كما فى الذاريات ، وفى بعضها بأفراد كما فى الطور . وتساءل : ما الحكمة من ذلك ؟ .
وأجاب : فى أكثر الجموع أقسم بالمتحركات . والريح الواحدة ليست بثابتة مستمرة حتى يقع القسم بها ، بل هى متبدلة بأفرادها ، مستمرة بأنواعها . والمقصود لا يحصل إلا بالتبدل والتغير فقال ﴿ وَالذَّارِيَاتِ ﴾ إشارة إلى النوع المستمر إلى الفرد المعين المستقر . وأما الجبل فهو ثابت قليل التغير ، والواحد من الجبال دائم زمانا ودهرا . فأقسم فى ذلك بالواحد . وكذلك قوله ﴿ وَالنَّجْمِ ﴾ ^(٤) .

(١) سورة مريم ٤٦ .

(٢) سورة الإسراء ٨٨ .

(٣) البرهان ٣ / ٤٦ . وأتى به غير منسوب : القطان ٣٠٦ — ٨ .

(٤) مفاتيح ٢٨ / ٢٠٦ — ٧ . الرازى لعبد الحميد ٢٥٣ .

ط - القسم

بجموع السلامة للمذكر والمؤنث

ولاحظ الرازي أن الله أقسم بجموع السلامة المؤنثة في خمس سور، ولم يقسم بجموع السلامة المذكرة في سورة أصلا. فلم يقل : والصالحين من عبادي، ولا المقربين ، إلى غير ذلك؛ مع أن المذكر أشرف .

وعلل ذلك بأن جموع السلامة بالوار والنون — في الأمر الغالب — لمن يعقل ، وقد ذكرنا أن القسم بهذه الأشياء ليس لبيان التوحيد إلا في صورة ظهور الأمر فيه ، وحصول الاعتراف منهم به ؛ ولا للرسالة لحصول ذلك في صور القسم بالحروف والقرآن . بقى أن يكون المقصود إثبات الحشر والجزاء . لكن إثبات الحشر لثواب الصالح وعذاب الطالح. ففائد ذلك راجع إلى من يعقل. فكان الأمر يقتضى القسم بغيرهم^(٢).

ي - دخول إذا عليه

ولاحظ د . يوسف خليف ظاهرة أسلوبية أخرى، هي ورود (إذا) بعد القسم الصريح في اثنتي عشرة آية كلها مكية. ويلفت النظر في هذه الظاهرة أن القسم في هذه الآيات كلها بمراحل الليل والنهار الزمنية :

النجم ١	﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾
المدثر ٣٤	﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾

(٢) مفاتيح ٢٨ / ١٦٧ . الرازي لعبد الحميد ٢٥٣ .

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَفَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ التكوير ١٧ ، ١٨

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ الانشقاق ١٨

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَ﴾ الفجر ٤

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ الشمس ٢ — ٤ .

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ الليل ١ ، ٢

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ الضحى ٢

ونقل عن ابن هشام أن (إذا) في هذه الآيات ظرف للحال . ثم علق على هذا قائلا : ربما كان الأقرب إلى سياق الآيات أن تكون للدلالة على استغراق الزمن . وكأن الله يقسم بهذه الظواهر الطبيعية ، التي هي من آيات خلقه وقدرته ، ليلفت النظر إلى أنها متجددة دائما ، وأنها ستظل متجددة على امتداد الزمان كله حتى تقوم الساعة ^(١) .

٣ - حذف جزء منه

فطن العلماء منذ وقت مبكر إلى أن القرآن لا يذكر أحيانا جميع أجزاء القسم . وتحدثوا عن هذه الظاهرة عند التصدي لتفسير الآيات التي وقعت فيها . وحظي ترك جواب القسم بأكثر حديثهم . ولكن أقدم الإشارات ما أورده سيويه .

(١) دراسات ١١١ . وانظر ابن هشام ١ / ١٠٠ .

أ. حذف اللام

نقل الرازي أن سعيد بن مسعدة الأخفش (٢١٥/٨٣٠) ذهب إلى أن جواب القسم في سورة البروج ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴾ وفي سورة الشمس ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ وأن اللام — التي كان من الواجب أن تدخل على الفعل فيهما — مضمرة فيهما^(١).

ونقل أيضا أن إبراهيم بن السري الزجاج (٢٤١ — ٣١١/٨٥٥ — ٩٢٣) علل هذا الإضمار بأن الكلام طال فصار طوله عوضا عن اللام^(٢).

وذكر الزركشي أن هناك من رأى أن المحذوف من سورة البروج (لقد)^(٣). وعلل الآلوسي ذلك بأن الفعل الماضي المثبت المتصرف الـذى لم يتقدم مفعولـه، إذا وقع جوابا للقسم، تلزمه اللام وقد، ولا يجوز الاقتصار على إحداها إلا عند طول الكلام^(٤). ولا يجوز تقدير اللام بدون (قد) لأنها لا تدخل على الماضي المجرد منها^(٥).

(١) مفاتيح ١٠٧/٣١. ونسبه إلى الفراء: القرطبي ٢٨٤/١٩. الشوكاني ٤٠٨/٥.

وأتى به غير منسوب: الطوسي ٣٥٨/١٠. القرطبي ٣/١٧.

(٢) مفاتيح ١٠٧/٣١. ابن الجوزي ١٤١/٩. القرطبي ٢٨٤/٢٠. الشوكاني ٤٤٥/٥.

وأتى به غير منسوب: الآلوسي ١١١/٣٠. عبده ٦٢. القطان ٣٠٥. أمين ٢٤٥.

(٣) البرهان ٤٥/٣. الشوكاني ٤٠٨/٥. الآلوسي ١١١/٣٠. وأتى به غير منسوب:

القطان ٣٠٥.

(٤) روح ١١١/٣٠. وأتى به غير منسوب: القطان ٣٠٥. أمين ٢٤٥.

(٥) روح ١١١/٣٠.

ب ـ حذف المقسم عليه

قال الطبري عن القسم في سورة البروج : أولى الأقوال في ذلك — عندى — بالصواب قول من قال : جواب القسم في ذلك متروك، والخبر مستأنف، لأن علامة جواب القسم لا تحذفها العرب من الكلام إذا أجابته^(١).

ونقل أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي (٥٠٨—٥٩٧/ ١١١٤—١٢٠١) عن أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (٢٧١—٣٢٨/ ٨٨٤—٩٤٠) أنه عد الحروف المفردة في صدور سورة البقرة قسما، جوابه محذوف. تقديره: وحروف المعجم، لقد بين الله لكم السبيل، وأفجج لكم الدلالات بالكتاب المنزل. وإنما حذف لعلم المخاطبين به، ولأن في قوله : «ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ» دليلا على الجواب^(٢).

وذكر الطوسي أن هناك من قال عن القسم في صدر سورة القيامة: جواب القسم محذوف، وتقديره : ما الأمر على ماتتوهمون^(٣).

(١) جامع ٣٠ / ٨٦ . وانظر ابن الجوزي ٧٤ / ٨ .

(٢) زاد ١ / ٢٠ — ١ . وانظر الرازي ٢٨ / ١٤٨ — ٩ . ابن القيم ١ / ٤٨ ، ٥٦ ، ٥٨ .

الزركشي ٣ / ٤٤ . الفراهي ١١ . خليف ١٠٨ .

(٣) البيان ٩ / ٣٥٤ ، ١٠ / ١٩٠ ، ٢٥٣ ، ٣١٦ .

وعبارة (جواب القسم محذوف) هى العبارة التى شاعت فى التفاسير، بحيث تضيع محاولة إحصائها عبثاً^(١).

وأبان الرازى أن القرائن التى تبيح حذف جواب القسم نوعان :
قرينة مقالية، وهى إما أن تتقدم على المقسم به أو تتأخر عنه .
وقرينة حالية .

ثم ناقش القسم فى صدر سورة (ق) على ضوء هذا التصور — بعد أن رأى أن جوابه محذوف — فقال :

إن قلنا : إن المقسم عليه مفهوم من قرينة مقالية متقدمة ، فلا متقدم هناك لفظاً إلا « ق » فيكون التقدير : هذا « ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ » أو « ق » أنزلها الله « وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ » ، كما تقول : هذا حاتم والله ، أى هو المشهور بالسخاء، أو تقول : الهلال رأيت والله .

وإن قلنا بأنه مفهوم من قرينة مقالية متأخرة ، فنقول : ذلك أمران :
أحدهما المنذر .

والثانى الرجوع .

فيكون التقدير: والقرآن المجيد إنك المنذر، أو والقرآن المجيد إن الرجوع لكائن، لأن الأمرين ورد القسم عليهما ظاهراً .

(١) انظر على سبيل المثال : البغوى ٦٩ / ٧ ، ٣٥٥ ، ٣٢٥ / ٨ ، الزمخشري ٦٤٧ / ٤ ، ٧٢٩ .
الطبرسى . ٢٣ / ٩٥ ، ٢٢ / ٣٠ ، ١٢٦ . ابن الجوزى ٩٩ / ٧ ، ٥ / ٨ ، ١٨ / ٩ ، ١٤١ .
الرازى ١٥٢ / ٢٦ ، ٣١ / ٣٣ ، ١١٦ ، ١٦٥ . القرطبي ٨١ / ٢٠ . أبو حيان ٤٢٨ / ٨ ، ٤٥٠ ،
٤٦٨ . ابن القيم ٢١٩ / ١ . ابن كثير ٢٣٧ / ٤ . النيسابورى ٦٠ / ٣٠ . الشوكاني ٥٧٤ / ٤ ،
٣٦٩ / ٥ ، ٤٠٨ ، ٤٤٥ . الآلوسى ١٧٢ / ٢٦ ، ٢٩ / ٣٠ . القطان ٣٠٥ . خليف ١٠٧ .

أما الأول فيدل عليه قوله : ﴿ يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ إلى أن قال ﴿ لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ ﴾^(١).

وأما الثاني فدل عليه ﴿ قوله وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴾ إلى أن قال : ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴾ . وهذا الوجه يظهر غاية الظهور على قول من قال : ﴿ ق ﴾ اسم جبل . فإن القسم يكون هنا بالجبل والقرآن، وهناك بالطور والكتاب، وهما الجبل والقرآن .

فإن قيل : أى الوجهين منهما أظهر عندك ؟

قلت : الأول ، لأن المنذر أقرب من الرجوع ، لأن الحروف رأيناها مع القرآن والمقسم كونه مرسلا ومنذرا، وما رأينا الحروف ذكرت وبعدها الحشر .

وأما إن قلنا : هو مفهوم بقرينة حالية، فهو كون محمد ﷺ على الحق ، ولكلامه صفة الصدق . فإن الكفار كانوا ينكرون ذلك .

والمختار ما ذكرناه^(٢).

ولما رأى الاستدراك فى الآية الثانية فسرهُ بأن قال : كأنه قال : وإنهم شكوا فيه، فأضرب عنه وقال : ﴿ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ ﴾ يعنى لم يقتنعوا بالشك فى صدق الأمر وطرحه بالترك وبعد الإمكان، بل جزموا بخلافه حتى جعلوا ذلك من الأمور .

وعندئذ تنبه إلى ما يكون — على هذا التفسير — فى الكلام من حذف فقال : فإن قيل : فما الحكمة فى هذا الاختصار العظيم : فى موضع واحد، ولا يفهم — مع الفكر — إلا بالتوفيق العزيز ؟

(١) مفاتيح ٢٨ / ١٢٨ — ٩ .

(٢) مفاتيح ٢٨ / ١٢٩ .

فنقول : إنما حُذِفَ المقسم عليه لأن التَّرك في بعض المواضع يُفهم منه ظهورٌ لا يُفهم من الذِّكر . وذلك لأن من ذكر الملك العظيم في مجلس ، وأثنى عليه ، يكون قد عظَّمه . فإذا قال له غيره : هو لا يُذكر في هذا المجلس ، يكون بالإرشاد إلى ترك الذِّكر دالا على عظَّمته فوق ما يستفيد صاحبه بذكره .

ونأظر ابن القيم بين حذف جواب القسم وحذف جواب الشرط . فقال : وهو — سبحانه — يذكر جواب القسم تارة — وهو الغالب — وتارة يحذفه كما يحذف جواب (لو) كثيرا ، كقوله : «وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ» ^(١) . ومثل هذا حذفه من أحسن الكلام ، لأن المراد أنك لو رأيت ذلك لرأيت هولا عظيما . فليس في ذكر الجواب زيادة على ما دل عليه الشرط ^(٢) .

وهذه عادة الناس في كلامهم : إذا رأوا أمورا عجيبة ، وأرادوا أن يخبروا بها الغائب عنها ، يقول أحدهم : لو رأيت ماجرى يوم كذا ، بموضع كذا ^(٣) . وأما القسم ، فإن الحالف قد يحلف على الشيء ثم يكرر القسم ، فلا يعيد المقسم عليه ، لأنه قد عُرف ^(٤) .

وأبان أن هناك مواضع معينة ، يحذف فيها المقسم عليه . فذكر أن الجواب يحذف تارة ، ولا يراد ذكره ، بل يراد تعظيم المقسم به ، وأنه مما يحلف به ^(٥) . وتارة يحذف الجواب وهو مراد ، إما لكونه قد ظهر وعُرف :

(١) سورة الأنعام ٣٠ . التبيان ٤٦ — ٧ . معترك ١ / ٤٥٣ . الإتيان ٢ / ١٧١ . وأتى به دون

نسبة القطان ٣٠٤ . أمين ٢٤٤ . شحاتة ٢٧٤ . العمرى ٢٤٧ .

(٢) التبيان ٤٧ . وأتى به غير منسوب . القطان ٣٠٤ . أمين ٢٤٤ .

(٣) التبيان ٤٧ .

(٤) التبيان ٤٨ .

(٥) التبيان ٥٧ . الفراهي ١١ . خليف ١٠٨ .

إما بدلالة الحال ، كمن قيل له : كل ، فقال : لا والله الذى لا إله إلا هو
أو بدلالة السياق ^(١) .

وأكثر ما يكون هذا — يريد دلالة السياق — إذا كان فى نفس المقسم به ما
يدل على المقسم عليه . وهى طريقة القرآن . فإن المقصود يحصل بذكر المقسم به
فيكون حذف المقسم عليه أبلغ وأوجز ، كمن أراد أن يقسم على أن الرسول حق
فقال : والذى أرسل محمدا بالهدى ودين الحق ، وأيده بالآيات البينات ، وأظهر
دعوته ، وأعلى كلمته ، ونحو ذلك ^(٢) .

وكما سمي آنفا حذف جواب القسم " طريقة القرآن " ، قال فى موضع
آخر : وهذا مطرد فى كل ما شأنه ذلك ^(٣) . بل بلغ به الأمر أن قال عن القسم فى
سورة الانشقاق : إنه لا يحتاج إلى جواب ، فإن المقسم عليه — عنده — معلوم
متعين ^(٤) . وعن القسم فى سورة البروج : الأحسن أن يكون هذا القسم مستغنيا
عن الجواب ، لأن القصة للتنبيه على المقسم به ، وأنه من آيات الرب العظيمة ^(٥) .
ورأى الزركشى أنهم تارة يحذفون من القسم للاختصار وللعلم بالمحذوف ^(٦) .
وفطن عبد الحميد الفراهى إلى أن حالة المخاطب هى التى جعلت القرآن
يبقى جواب القسم أو يحذفه . قال : إن كان جواب القسم مما ينتبه الخصم

(١) التبيان ٥٨ .

(٢) التبيان ٥٨ . معترك ١ / ٤٥٤ — ٥ . الإتيان ٢ / ١٧١ . القاضى ٨٧ . قمحاوى ٣ / ٢٧ .

رضا ١٧٠ . وانظر بدوى ١٧٢ . القطان ٣٠٥ . أمين ٢٤٤ . المدخل ١ / ٥٠٢ . العمرى

٢٥٠ . خليف ١٠٧ .

(٣) التبيان ٦٠ . معترك ١ / ٤٥٥ . الإتيان ٢ / ١٧١ . بدوى ١٧٢ .

(٤) الفراهسى ١١ .

(٥) التبيان ١ / ١٨٦ . الفراهى ١١ . وأتى به غير منسوب : القطان ٣٠٥ .

(٦) البرهان ٣ / ٤٤ .

لإنكاره فتارة يصرف الخطاب إلى النبي كقوله : ﴿يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ وتارة يحذف جواب القسم الذى يكون جملة خبرية. فحينئذ يكتفى بالمقسم به ، ويبادرهم بكلام آخر مؤيد لما حذف، لكيلا يجد الخصم فرصة لتحويل الإنشاء إلى الخبر، فينازع فيه ، ولكى يجد الكلام فرصة فيه ، فيستمع — بعد القسم — لما ينتظر جوابه ، فيهجم عليه ما يؤيد الاستدلال المقصود من الكلام السابق، كقوله : ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ فأكتفى بالجملة الإنشائية، واجتنب الخبرية، وقد فرغ عنها بما ذكر في القسم من صفة القرآن، كأنه قيل : قد شهد القرآن أنه لذكر ونصح لهم . ثم ذكر من خصائلهم مالا ينكرونها بل يباهون بها. وأشار إلى أن إنكارهم ليس إلا لحميتهم الجاهلية وجداهم بالحق .

فأما إذا كان القسم — مما لا ينكرونه لم يحذف الجواب كقوله : ﴿حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(١) فذكر في القسم كونه كتابا مبينا، وفي الجواب كونه قرآنا عربيا. ولا ينكرون شيئا منهما^(٢).

ولاحظ د. يوسف خليف أن هذا الحذف لم يرد إلا في الآيات المكية^(٣).

(١) سورة الزخرف ١ — ٣ .

(٢) إمعان ٤٩ — ٥٠ .

(٣) دراسات ١٠٧ .

ج - حذف فعل القسم

قال ابن القيم : لما كان القسم يكثر في الكلام ، اختُصر فصار فعل القسم يُحذف ، ويكتفى بالأداة ^(١).

وقال الزركشى : أكثر الأقسام المحذوفة الفعل في القرآن ، لا تكون إلا بالواو . ولا تجيء الباء والفعل محذوف إلا قليلا . وعليه حمل بعضهم قوله «يَا بَنِيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ» ^(٢) . وقال : الباء باء القسم ، وليست متعلقة بـ (تشرك) وكأنه يقول : يا بني . بالله : لا تشرك ^(٣).

وخالف السيوطي الزركشى وأعلن : لا تجد الباء مع حذف الفعل . وخطأ من قال بغير ذلك ^(٤).

(١) التبيان ٤٨ . معترك ٤٥٣ / ١ — ٤ . الإتيقان ١٧١ / ٢ . قمحاوي ٢٥ / ٣ . وأتى به دون

نسبة : القطان ٣٠١ . أمين ٢٣٩ . شحاتة ٢٧٣ . العمرى ٢٤٧ .

(٢) سورة لقمان ١٣ .

(٣) البرهان ٤٣ / ٣ — ٤ . وأتى به غير منسوب : معترك ٤٥٣ / ١ . الإتيقان ١٧٠ / ٢ .

قمحاوي ٢٥ / ٣ .

(٤) معترك ٤٥٣ / ١ . الإتيقان ١٧٠ / ٢ . وانظر حسين ٤٥ .

د . حذف المقسم به

قال الزركشى: مما حذف فيه المقسم به قوله: «قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ»^(١)
أى نحلف إنك لرسول الله^(٢).

وذهب عبد الحميد الفراهي إلى أننا لا نحتاج إلى تقدير المقسم به في كل موضع . وعلى هذا الأصل كل ما ترى في القرآن من لام اليمين . وإذا جاءت قبلها كلمة تدل على اليقين والجزم كانت مشابهة بكلمة القسم ، كقوله :
« قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ * لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ »^(٣) . فليس لك أن تقدر مقسما به في هذه الأمثلة التي ذكرناها ولا يليق بها ، كما يظهر من سياق الكلام . فكل ما ذكرنا من طريق اليمين والحلف وتعبيراته يدل على أن المقسم به ليس من لوازم القسم حتى تقدره كلما لم يذكر . إنما أرادوا بالقسم تأكيدا محضا للقول ، أو إظهار عزم ألزموا به أنفسهم فعلا أو ترك فعل^(٤).

وقال أيضا : ولا يلزم الإقسام أن يكون له مقسم به ، سواء كان على خبر أو عقد . كما قال طرفة في معلقته :

* أقسم ربها لتكتفن *

وهذا كثير في كلام العرب .

(١) سورة المنافقون ١ .

(٢) البرهان ٤٥ / ٣ .

(٣) سورة ص ٨٤ — ٥ .

(٤) إمعان ١٩ .

وجاء في القرآن : ﴿ أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ﴾ ^(١) فإن قيل : إن المقسم به مقدر وهو الله .

قلنا : إن أردت الاحتمال فلا ننكره ، إنما قولنا إنه غير لازم . فلقد رأينا أن القسم يكون بالله وبغيره . وربما يكون مجردا عن المقسم به . وحينئذ لا يراد به إلا التأكيد والجزم المحض ^(٢) .

تبين — مما مر بك — أن القسم لا يلزمه المقسم به ^(٣) .

هـ - حذف الفعل والأداة

وقال الزركشى : مما يحذفونه فعل القسم وحرف الجر ، ويكون الجواب مذكورا ، كقوله : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﴾ ^(٤) أى والله ، وقوله : ﴿ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ ﴾ ^(٥) .

وبرر محمد الخضر حسين الحذف بوجود قرينة تدل على القسم ، وهى اللام ^(٦) .

وصرح د . شعبان محمد إسماعيل بأن الحذف — فى هذه الأقسام — شمل المقسم به إلى جانب ما ذكره ^(٧) .

(١) سورة الأعراف ٤٩ .

(٢) إمعان ٢٠ — ١ .

(٣) إمعان ١٨ — ٢١ .

(٤) سورة الأحزاب ٢١ .

(٥) سورة الشعراء ٤٩ . البرهان ٣ / ٤٤ .

(٦) بلاغة ٤٦ .

(٧) المدخل ١ / ٥٠١ .

الفصل الرابع

الجمال الفنى

أ - التناسب بين المقسم به والمقسم عليه



يبدو أن الطبرى وصل ذات مرة — إلى إحساس مبهم وقاصر بوجود صلة بين المقسم به والمقسم عليه . استدل على ذلك بما قاله فى تفسير سورة ص ، عندما وجد المفسرين اختلفوا فى تفسير تسمية القرآن بالذكر، بين الشرف والتذكير، قال: وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال : معناه ذى التذكير ، لأن الله أتبع ذلك قوله : ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾^(١) فكان معلوما بذلك أنه إنما أخبر عن القرآن أنه أنزله ذكرا لعباده ذكّرهم به ، وأن الكفار من الإيمان به فى عزة وشقاق^(٢) .

ولكن الرازى كان أول من أشار صراحة — من مصادرى — إلى هذا التناسب . قال مثلا : فى السورة التى أقسم الله فيها لإثبات الوجدانية، أقسم فى أول الأمر بالساكنات حيث قال: والصفات . وفى السور الأربع الباقية أقسم بالمتحركات، فقال : والذاريات، والمرسلات، والنازعات . ويؤيده قوله :

(١) سورة ص ٢ .

(٢) جامع ٢٣ / ٧٥ .

والساجحات ، فالسابقات ، والعاديات . وذلك لأن الحشر فيه جمع وتفريق، وذلك بالحركة أليق. أو أن نقول في جميع السور الأربع أقسم بالرياح. وهى التى تجمع وتفريق. فالقادر على تأليف السحاب المتفرق بالرياح الذارية والمرسلة ، قادر على تأليف الأجزاء المتفرقة ، بطريق من الطرق التى يختارها بمشيئته ^(١).

وصرح الفراهى — عن حق — بأن ابن القيم فسر أكثر آيات القسم عن طريق يُظهر دلالة المقسم به على المقسم عليه . فإذا أشكل عليه ذلك ، جعل المقسم عليه محذوفاً، وجعل القسم دالا على صفات الله وما ماثلها ^(٢).

وأمثل لذلك بقوله عن الأقسام فى صورة الشمس: قد أقسم الله بهذه الأشياء التى ذكرها ، لأنها تدل على وحدانيته، وعلى فلاح من طهره، وخسارة من خذله، حتى لا يظن أحد أنه هو الذى يتولى تطهير نفسه وإهلاكها بالمعصية، من غير قدر سابق وقضاء متقدم. وهذا أبلغ فى التوحيد الذى سيق له هذه السورة ^(٣). وقال عن القسم فى سورة المرسلات: فيه أبين دليل وأظهر آية على صحة ما أقسم عليه وتضمنته السورة ^(٤).

ولم يكتف ابن القيم بذلك ، بل حاول أن يربط بين الأقسام عند تعددها. قال عن القسم فى سورة القيامة : جمع — سبحانه — فى القسم بين محل الجزاء — وهو يوم القيامة — ومحل الكسب — وهو النفس اللوامة ^(٥). وقال فى سورة الفجر:

(١) مفاتيح ٢٨ / ١٦٧ — ٨ . عبد الحميد ٢٥٣ .

(٢) إمعان ١٢ .

(٣) التبيان ٧٧ / ١ .

(٤) التبيان ٢٧٤ / ١ — ٥ .

(٥) التبيان ٦٩ / ١ .

افتتح القسم بما يتضمن أول الصلوات { الفجر } ، وختمه بقوله «وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ» المتضمن لآخر الصلوات ^(١).

وعقب النيسابورى على القسم فى سورة الضحى قائلا : تأمل مطابقة هذا القسم — وهو نور الضحى الذى يوافى بعد ظلام الليل — للمقسم عليه ، وهو نور الوحى الذى وافى محمدا بعد احتباسه عنه حتى قال أعداؤه : ودع محمدا ربه . فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل، على ضوء الوحى ونوره، بعد ظلمة احتباسه واحتجابه ^(٢). ولذلك جعله السيوطى من لطائف القسم ^(٣).

وعنى الألوسى أيضا بتتبع هذه العلاقات. فقال عن القسم بالسماء ذات الحُبك : لعل النكتة فى ذلك القسم تشبيه أقوالهم فى اختلافها وتنافى أغراضها بطرائق السماوات فى تباعدها واختلاف هياكلها، أو الإشارة إلى أنها ليست مستوية جيدة، أو ليست قوية محكمة، أو ليس فيها مايزينها بل فيها ما يشينها من التناقض ^(٤).

ومن أجل ذلك رأينا الفراهى يجعل من أهداف كتابه إبانة أن الإقسام بال مخلوقات وقع من أجل دلالتها لا تعظيمها .

(١) البيان ٨٧ / ١ .

(٢) غرائب ٣٠ / ١٢٠ — ١ . وانظر معترك ١ / ٤٥٥ . الإتيقان ٢ / ١٧١ . الألوسى

١٩٥ / ٣٠ — ٧ . بدوى ١٧٢ — ٣ . قمحاوى ٢٨ / ٣ .

(٣) معترك ١ / ٤٥٥ . الإتيقان ٢ / ١٧١ . قمحاوى ٢٨ / ٣ . وأتى به دون نسبة : العمرى

٢٥١ .

(٤) روح ٢٧ / ٥ .

ووصف د . محمد محمد أبو شهبة ما بين المقسم به والمقسم عليه في القرآن بالتوافق العجيب غير أنه قد يخفى على غير ذى العقل الذكى، والنظر الشفاف، والحس الدقيق، الذى يحكم على الأشياء بادئ الرأى من غير روية وتفكير^(١).

وقال د . محمد بكر إسماعيل : إذا تأملنا فى آيات القسم ، وجدنا الصلة جد قوية بين المقسم به والمقسم عليه، وأدركنا أن بينهما تناسبا وثيقا، بحيث لو جىء مكان أحدهما بشىء آخر لاختل النظام ، وذهبت مواطن الجمال والجلال .

فقد أقسم الله — مثلا — بطوائف من الملائكة على وحدانيته وربوبيته ، لنفى ما زعمه المشركون من وجود صلة نسبية بينه وبينهم فقال : ﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا * فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا * فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴾^(٢).

فقد زعموا أن الملائكة بنات الله ، وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا. فأقسم بهم لبيان وظائفهم ، وتحديد مكانهم، وإثبات كماله فى ذاته ، وبيان أنه الواحد الأحد رب السماوات والأرض وما بينهما .

فلو جىء بمقسم به آخر غير الملائكة ، فقليل مثلا : والذاريات ذروا، أو قيل: والنجم إذا هوى ، لا ختل نظم الكلام، ونسق المعانى، ولذهب وجه فريد من وجوه الإعجاز البياني^(٣).

(١) المدخل ٢٤٨ .

(٢) سورة الصافات ١ — ٣ .

(٣) دراسات ٣٧٢ — ٣ .

ب . البلاغة والإعجاز

كان محمد بن الطيب الباقلاني أول من تعرض للإعجاز في أقسام القرآن . ولكنه — لما كان يرفض أن يكون الإعجاز قد حصل في بعض الوجوه بمفردها ، من غير أن يقارنها ما يصل به الكلام ويفضى عليه — فقد أنكر أن يقول قائل : إن ما أقسم به القرآن وحده بنفسه معجز^(١) . يريد بذلك أن الإعجاز في النظم العام للقرآن .

وجعل السيوطي إقسامه في مواضع لإقامة الحجة وتأكيدا الوجه التاسع والعشرين من وجوه إعجازه^(٢) .

ورأى الألوسي في القسم ، في صدر سورة النجم ، على نزاهته ﷺ عن شائبة الضلال والغواية ، من البراعة البديعة ، وحسن الموقع ، مالا غاية وراءه^(٣) . وعقد عبد الحميد الفراهي فصلا لبعض ما في القسم من أبواب البلاغة ولطائفها ، ذكر فيه أن في أسلوب القسم معاني مفيدة للاستدلال ، مما يفتح عليه من البلاغة أبوابا ، ويلقى عليه من المحاسن جلبابا . وذكر منها :

الأول : إظهار التأكيد والجد في القول ، كما ترى في قول المرسلين من النصارى ، حيث جاء في القرآن : ﴿ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾ * وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ^(٤) .

(١) إعجاز ٢٧٦ . سلطان ١٠٧ .

(٢) معترك ٤٤٩ / ١ . شرف الدين ٩٠ .

(٣) روح ٤٥ / ٢٧ .

(٤) سورة يس ١٦ — ٧ .

ولذلك كثر القسم في أوائل النبوة حتى تبين لهم جده .

الثاني : كون القسم إنشاء . وذلك يُبهم طريق الإنكار على الخصم . فإنه — إن شاء — أنكر جواب القسم لكونه خبرا . ولكنه لا يسنح له أن ينكر القسم نفسه لكونه إنشاء . كما إنه لا يتوجه إلى إنكار الصفة، مع أنهما — في الحقيقة — من الأخبار.

الثالث : إيجاز هذا اللفظ للاستدلال . فإن اللفظ إذا قلّ ، يترأى المعنى متجردا عن حُجبه ، فيزيده تنويرا وتأثيرا ، كأنه أرهف حده، وقُرّب بعده.

الرابع : إشراك السامع في استنباط الدليل ، وذلك مما يكسر سورة {حدة} خصامه . فإنه إذا علم شيئا بعد التأمل ، فرح به، واهتزّ له . وترى ذلك بينا في أقسام القرآن . فإنها تعرض على السامع أمرا يدعو إلى استعمال عقله . وربما تسوقه إلى سَمَت الدعوى بلطافة وتدرّيج .

الخامس : وضع الدليل في غير صورته كيلا يبادر المنكر إلى المخاصمة، لأن ذلك يذهله عن الخصام .

السادس : ما أعطت أوائل السور من نضرة بمجتها، ورونق ديباجتها، إذ تلمع الأقسام في قسمات السور — على الأكثر — كالغرة البيضاء . وأما الذى جاء في أثناء السور من الأقسام فقليل، ومثاله كالتصرّيع في أثناء القصيدة . وقد اصطفى القرآن له كل ما إن صُوّر على عنوان الكتاب، أو تمثّل للفعل في مطلع الخطاب، ملأ العين والفؤاد بحسنه وجلالته، بل يجلب أكثرها عن التصوير لكمال عظمتها، وضيق نطاق الخيال عن سعتها .

السابع : تقديم ذكر الدليل على ذكر الدعوى . فيلقى أولا على الخصم أمرا يوجهه إلى سمت لا بد أن يجلبه إلى الدعوى . فإن المنكر — إذا علم من قبل ما تريد الاستدلال عليه — أخذ سمتا {جهة} آخر، وتنكب عن الوجه الصحيح . فإذا لم

تذكر الدعوى أولا ، يوشك أن يتوجه إلى صراط مستقيم . فإذا سار على قصد السبيل، قُدّته إلى آخر النتيجة .

الثامن : كون القسم من جوامع الكلم^(١).

وواضح أن هذا الأمر الثامن لا يبعد كثيرا عن الثالث، ويحسن دمجهما معا .
وذهب محمد الخضر حسين — في أسلوب نفى القسم بخاصة — إلى أنه من الأساليب البليغة في التوكيد والتحقيق، للدلالة على أن المخبر عنه واضح بين لا يحتاج إلى قسم^(٢).

وعلق محسن عبد الحميد على تناول الرازي للأقسام قائلا :

إن الرازي — بمعالجته موضوع القسم بهذا الشكل — أراد أن يثبت جانبا آخر من جوانب بلاغة القصد القرآني، وإعجازه في استعمال الأساليب على الوجه الأمثل، حيث نرى أن الوجود كله يمشى على نسق معين : فكل استعمال من استعمالات القرآن إنما يتناسق مع ما في الوجود من مظاهر متنوعة ، دون أن يكون هنالك ارتباط واضطراب وتناقض . وهذه ناحية مهمة من نواحي إعجاز القرآن^(٣).

ووصفت د . عائشة عبد الرحمن القسم القرآني في أوائل السور بأنه ظاهرة أسلوبية أخرى من البيان المعجز^(٤).

(١) إمعان ٤٨ — ٥٥ . وانظر إسماعيل ٣٧٠ — ١ .

(٢) بلاغة ٤٥ .

(٣) الرازي ٢٥٤ .

(٤) الإعجاز ٢٢٦ .

ووصف د . محمد أحمد الغمراوي آية « وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ » ^(١) بأنها مثال من الإعجاز العلمي للقرآن . فقسمه — سبحانه — في هذه الآية له حكمته، لأنها تشمل كل محسوب معدود ، إذ لا يمكن لما له عدد أن يخرج عن أن يكون شفعا أو وتريا (زوجيا أو فرديا) . ولكن القسم يشير إلى سر في المقسم به . فهو لا يدل على مجرد المعدود، ولكن على أهمية كونه شفعا أو وترا . فمثلا عناصر المادة، التي لا بد من بعضها أو من مركباتها، في الاختراعات وغيرها، كل عنصر منها تتوقف ذاته وخواصه على عدد الشحنات الكهربائية الموجبة في نواة ذرته أو عدد الكهربيات السالبة الدائرة في أفلاكها حول النواة ^(١) .

وقد عقب د . أحمد عبد السلام الكرداني على هذه الأقوال قائلا :
ما أروع هذا القسم ودلالته العلمية العميقة ^(٢) .

وتؤدي بنا هذه الجولة إلى أن نختلف اختلافا كبيرا مع الغمراوي والكرداني ومن لف لف لفهما من أصحاب الإعجاز العلمي، وبعض الاختلاف مع السيوطي وصالحه شرف الدين ومن اتفق معهما في جعل الأقسام وجها مستقلا من وجوه الإعجاز . ونقترب كثيرا من الباقلاني ، فنرى أن كل الآراء التي تحدثت عن بلاغة الأقسام وإعجازها تدفعنا إلى أن نؤمن أن الأقسام القرآنية أحد عناصر الإعجاز البياني .

(١) الإسلام ٣٧٠ . الكرداني ٥٢ .

(٢) نماذج ٥٧ .

الفصل الخامس

أغراض القسم ودواعيه

أ . أغراضه

قال الطوسي : القسم جملة من الكلام يؤكد بها الخبر، بما يجعله في قسم الصواب دون الخطأ، أو في حيز المتحقق، على طريقة : بالله إنه لكذا ^(١).

وصرح الرازي: إيراد القسم للتأكيد المحض، كما هو عادة العرب ^(٢).

وصرح ابن القيم: قد يراد بالقسم توكيده وتحقيقه، وقد يراد به تحقيق المقسم عليه ^(٣).

(١) التبيان ٤ / ٤١٥ ، ٥٠٦ / ٩ ، ١٩٠ / ١٠ . وانظر الزركشي ٤٠ . القطان ٣٠٠ .

السامرائي ٥٦ .

(٢) مفاتيح ٢٦ / ١٠٣ . الفراهي ٥-٩ ، ٧ . الرازي لعبد الحميد ٢٥١ . المدخل ١ / ٥٠٠ ، ٥٠٤ .

(٣) التبيان ٤٦ . معترك ١ / ٤٥٣ . الإنقضاء ٢ / ١٧١ . ونسبه للسيوطي : القاضي ٨٤ .

وأتى به غير منسوب للآلوسي لعبد الحميد ٢٤٥ . قمحاوي ٣ / ٢٢ . رضا ١٦٤ .

وقال الزركشى: إنما جىء بالقسم لتوكيد المقسم عليه^(١).

وقال السيوطى : إقسام الله لإقامة الحجة وتأكيدها^(٢).

ورأت د . عائشة عبد الرحمن أن القسم يأتى فى مقام التوثيق لما يسبق إنكاره، أو الإقرار به^(٣).

وأعلن د . بكرى شيخ أمين : القسم أفضل المؤكدات^(٤)، ود . عبد الله محمود شحاتة : القسم من المؤكدات المشهورة التى تمكن الشئ فى النفس وتقويه، وهو — فى كلام الله — لتأكيد الحكم ، وتقوية الحجة، وسوق الأدلة والبراهين على تقرير المعنى وتوضيحه^(٥)؛ ود . محمد بكر إسماعيل : أسلوب القسم فى اللغة طريق من طرق توكيد الكلام ، وإبراز معانيه ومقاصده، على النحو الذى يريده المتكلم، إذ يؤتى به لدفع إنكار المنكرين أو إزالة شك الشاكين. وإذا كان المتكلم قد رأى أن المخاطب يشك فى كلامه، أكد له القول بنوع من أنواع التوكيد، وأهمها القسم^(٦).

(١) البرهان ٤٤ / ٣ .

(٢) معترك ٤٤ / ٣ .

(٣) الإعجاز ٢٢٦ .

(٤) التعبير ٢٤٦ .

(٥) علوم ٢٧١ — ٢ .

(٦) دراسات ٣٦٣ .

ب - دواعيه

يبدو أن هناك من استنكر أقسام القرآن. وقال : ما معنى القسم منه ، سبحانه ؟ فإنه إن كان لأجل المؤمن ، فالمؤمن يصدق مجرد الإخبار؛ وإن كان لأجل الكافر، فلا يفيد .

وتصدي أبو القاسم القشيري للإجابة فقال : إن الله ذكر القسم لكمال الحجة وتأكيدها. وذلك أن الحكم يُفصل باثنين : إما بالشهادة، وإما بالقسم. فذكر — تعالى — النوعين حتى لا يبقى لهم حجة ^(١).

وعن بعض الأعراب أنه لما سمع قوله : «فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ» ^(٢) صاح قائلاً : من الذي أغضب الجليل حتى أُلجأ إلى اليمين ^(٣) .

وتصدي له الزمخشري فقال : فإن قلت : الناس قد أنكروا إتيان الساعة وجحدوه . فهب أنه حلف لهم بأغلظ الأيمان، وأقسم عليهم جهد القسم ، فيمين من هو في معتقدهم مُفتر على الله كذبا، كيف تكون مصححة لما أنكروه ؟

وأجـاب : هذا لو اقتصر على اليمين، ولم يُتبعها الحجة القاطعة والبينة الساطعة، وهي قوله «لِيَجْزِيَ» ^(٤). فقد وضع الله في العقول، وركب في

(١) الزركشي ٤١ / ٣ . معترك ٤٥٠ / ١ . الإتيان ١٦٩ / ٢ . المدخل ٥٠١ / ١ .

قمحاوي ٢٢ / ٣ . خليف ٩٦ .

(٢) سورة الذاريات ٢٣ .

(٣) الزركشي ٤١ / ٣ . معترك ٤٥٠ / ١ . الإتيان ١٦٩ / ٢ . المدخل ٥٠١ / ١ .

قمحاوي ٢٢ / ٣ . خليف ٩٦ . وانظر الزمخشري ٤٠٠ / ٤ .

(٤) سورة سبأ ٤ .

الغرائز وجوب الجزاء، وأن المحسن لابد له من ثواب، والمسيء لابد له من عقاب^(١).

وأورد في موضع آخر خبر الأعرابي، مرويا عن عبد الملك بن قريب الأصمعي (١٢٢ - ٢١٦ / ٧٤٠ - ٨٣١)^(٢).

وأورد الرازي إجابة الزمخشري ثم ذيلها بقوله : الذي أقوله أنا هو أن الدليل المذكور في قوله : «عَالِمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ»^(٣) أظهر . وذلك لأنه إذا كان عالما بجميع الأشياء، يعلم أجزاء الأحياء، ويقدر على جمعها، فالساعة ممكنة القيام ، وقد أخبر عنها الصادق ، فتكون واقعة^(٤).

كذلك تصدى له الرازي في أكثر من موضع فقال ذات مرة : الناس طبقات. فمنهم من لا يقر بالشئ إلا بالبرهان الحقيقي، ومنهم من لا ينتفع بالبرهان الحقيقي بل ينتفع بالأشياء الإقناعية نحو القسم . فإن الأعرابي الذي جاء الرسول ﷺ وسأل عن نبوته ورسالته، اكتفى في تحقيق تلك الدعوى بالقسم. فكذا هاهنا^(٥).

وقال — وهو بصدد الإجابة عن فائدة القسم في إخبار النبي ﷺ عن البعث مع إنكارهم رسالته — قال : إنهم — وإن أنكروا الرسالة — لكنهم يعتقدون أنه

(١) الكشف ٣ / ٥٦٧ - ٨ . الرازي ٢٥ / ٢٠٨ .

(٢) الكشف ٤ / ٤٠٠ ..

(٣) سورة سبأ ٣

(٤) مفاتيح ٢٥ / ٢٠٨ .

(٥) مفاتيح ١٧ / ٩٠ .

يعتقد ربه اعتقاداً لا مزيد عليه . فيعلمون أنه لا يُقدم على القسم بربه إلا وأن يكون صدقُ هذا الإخبار أظهر من الشمس عنده وفي اعتقاده ^(١).

وأعاد — في موضع ثالث — صياغة السؤال الذى واجهه القشيري ، فجعله: الحلف من الله غير لائق من وجوه :

الأول : أن المقصود من القسم إما إثبات المطلوب عند المؤمن أو عند الكافر . الأول باطل لأن المؤمن مقرّ به سواء حصل الحلف أو لم يحصل ، والمكذب لا يصدق مع القسم . فهذا الحلف عديم الفائدة على كل التقديرات ^(٢).

الثاني : إثبات المطالب العالية الشريفة على المخالفين من الدهرية وأمثالهم بالحلف لا يليق بالعقلاء ^(٣).

وكان الجواب عند الرازي من وجوه أيضا :

الوجه الأول : أنه — تعالى — قرر هذه المطالب العالية في سائر السور بالدلائل اليقينية . فلما تقدم ذكر تلك الدلائل لم يبعد تقريرها . فذكر القسم تأكيدا لما تقدم ، لاسيما والقرآن إنما أنزل بلغة العرب ، وإثبات المطالب بالحلف طريقة مألوفة عند العرب ^(٤).

(١) مفاتيح ١٢ / ٣٠ .

(٢) مفاتيح ١٠٣ / ٢٦ . الرازي لعبد الحميد ٢٥١ . وأتى به غير منسوب : القرطبي ١٥٦ / ١ .

الزركشي ٤١ / ٣ . معترك ٤٤٩ / ١ . الإتيقان ١٦٩ / ٢ . الفراهي ٤ . القاضي ٨٤ .

المدخل ٥٠٠ / ١ . قمحاوي ٢٢ / ٣ . رضا ١٦٥ .

(٣) مفاتيح ١٠٣ / ٢٦ . الرازي لعبد الحميد ٢٥١ .

(٤) مفاتيح ١٠٣ / ٢٦ . الفراهي ٥ . الرازي لعبد الحميد ٢٥١ . وأورده غير منسوب : القرطبي

١٥٦ / ١ . معترك ٤٤٩ / ١ . الإتيقان ١٦٩ / ٢ . بدوي ١٧٠ . القاضي ٨٤ . المدخل

١ / ٥٠٠ ، ٥٠٤ ، إسماعيل ٣٧١ . ونسبه إلى السيوطي : خليف ٩٦ . رضا ١٦٥ .

الوجه الثاني : أنه — تعالى — لما أقسم بهذه الأشياء على صحة قوله :
﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ ذكر عقيبه ما هو كالدليل اليقيني في كون الإله واحداً،
وهو قوله : ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾^(١) كأنه
قيل : قد بينا أن النظر في انتظام هذا العالم يدل على كون الإله واحداً . فتأملوا في
ذلك الدليل ليحصل لكم العلم بالتوحيد .

الوجه الثالث : أن المقصود من هذا الكلام الرد على عبدة الأصنام في قولهم
بأنها آلهة . فكأنه قيل : هذا المذهب قد بلغ في السقوط والركاكة إلى حيث يكفي
في إبطاله مثل هذه الحجة^(٢) .

الوجه الرابع : أن الكفار كانوا — في بعض الأوقات — يعترفون بكون
النبي ﷺ غالياً في إقامه الدليل . وكانوا ينسبونه إلى المجادلة، وإلى أنه عارف — في
نفسه — بفساد ما يقوله، وأنه يغلبهم بقوة الجدل لا بصدق المقال . فلم يبق طريق
غير السكوت أو التمسك بالأيمان وترك إقامة البرهان .

الوجه الخامس : أن العرب كانت تحتز عن الأيمان الكاذبة، وتعتقد أنها
تدع الديار بلاقع { خربة } . فلما أكثر النبي ﷺ من الأيمان بكل شريف، ولم يزد
ذلك إلا رفعة وثباتاً ، حصل لهم العلم بأنه لا يحلف بها كاذباً، وإلا لأصابه شؤمها،
ولناله المكروه في بعض الأزمان .

الوجه السادس: أن الأيمان التي حلف الله بها كلها دلائل^(٣)
ولم يرض عبد الحميد الفراهي عن أقوال الرازي ، ونقض الوجوه التي
أوردها واحداً بعد واحد .

(١) سورة الصافات ٤ ، ٥ .

(٢) مفاتيح ٢٦ / ١٠٣ — ٤ . الفراهي ٥ — ٧ . الرازي لعبد الحميد ٢٥١ .

(٣) مفاتيح ٢٨ / ١٦٦ — ٧ . الفراهي ٦ — ٨ . الرازي لعبد الحميد ٢٥٠ .

فاعترض على الوجه الأول بأن القرآن يناقضه، لأنك ترى القسم في أوائل
الوحي أكثر مما تراه بعد استيفاء الدلائل .

وعلى الثاني : بأنه ساكت عن بيان حكمة الصور المتنوعة للقسم . فأى فائدة
للعُدول عن القسم بالله إلى القسم بهذه الأشياء .

وعلى الثالث : ووصفه بأنه سخيـف جداً، كأنه — بعد ما اعترف في
الوجهين الأولين بأن القسم لا حجة فيه — قال هنا : إن مذهب الخصم كان جديراً
بأن يجاب عنه بما ليس من الحجة في شيء .

وعلى الرابع : بأن فيه خلطاً بين الغث والسمين، ونقضاً لما قال في تفسير
الصفات بأن القسم يتبعه الدليل، وإنما كان القسم لأجل التأكيد . والأمر كذلك،
فإن القرآن لا يسكت على القسم .

فلو قال : لأن الدليل المحقق ربما لا ينبجـع في الخصم ، إذا كان قليل المعرفة
بالاستدلال، وقليل الاعتماد على نظره، أو متهماً للمتكلم بخلافة بيانه ، فيحسن في
هذه الحالات شوب { خلط } الحجة باليمين ؛ فلو قاله هكذا لكان أقرب .

وعلى الخامس : بأنه أصاب فيما قال، لو لم يزد عليه ما قال من أن النبي ﷺ
أكثر من الأيمان بكل شريف، كأنه أراد أنهم إذا أقسموا بشريف خافوا سخطه، إن
كذبوا في يمينهم به . وضعف هذا القول ظاهر فإن أقسام القرآن ربما تكون بما ليس
فيه شرف . والقرآن يهـدى إلى أن لا تخاف إلا الله . وأى شؤم يخاف من التين
والزيتون ؟ ! ثم النبي ﷺ كان يبلغ القرآن من الله ، فالقسم منه — تعالى — وهو
لا يخاف أحداً .

فلو اقتصر على الجزء الأول من جوابه، وقال إن العرب كانت تحتـرز عن
الأيمان الكاذبة، وتخاف مغبتها، وتعتقد أن الرجل لا يحلف كذباً، فإذا حلف أحد،
أصغوا إليه ؛ كان أقرب إلى ما يجاب به .

وعلى الوجه السادس بأنه يكفى لدفع القول بأنه لا فائدة للقسم. ولكن يلزم على القائل به أن يبين وجه الاستدلال بالمقسم به على المقسم عليه. وهذا — مع كونه ظاهرا فى بعض المواضع — كثيرا ما يحتاج إلى إمعان شديد. ولعله — لهذا السبب — لم يعتمد عليه إلا فى سورة الذاريات وفى بعض سور آخر^(١).

وحين أراد الفراهى أن يعبر عن رأيه الخاص، نظر فى السلوك البشرى عامة. فأعلن أن الإنسان ربما يحتاج إلى تأكيد خبر أو وعد منه، حين يريد أن يعتمد عليه المخاطب، وتطمئن به نفسه، لا سيما فى الأمور العظيمة. وهذه الحاجة التمدنية دعوتهم إلى طرق وكلمات خاصة يعبرون بها عن هذا التأكيد. فكان ذلك أصل قسمهم^(٢).

وأرجعه مناع القطان إلى اختلاف الاستعداد النفسى عند الفرد فى تقبله للحق، وانقياده لنوره. فالنفس الصافية التى لم تدنس فطرتها بالرجس، تستجيب للهدى، وتفتح قلبها لإشعاعه، ويكفيها فى الانصياع إليه اللمحة والإشارة. أما النفس التى رانت عليها سحابة الجهل، وغشيتها ظلمة الباطل، فلا يهتز قلبها إلا بمطارق الزجر وصيغ التأكيد، حتى يتزعزع نكيرها. والقسم فى الخطاب من أساليب التأكيد التى يتخللها البرهان المفحم؛ والاستدراج بالخصم إلى الاعتراف بما يجحد^(٣).

كما أعاده إلى أعراف اللغة العربية. فإنها تمتاز بدقة التعبير، واختلاف الأساليب بتنوع الأغراض. وللمخاطب حالات مختلفة، هى المسماة — فى المعانى — بأضرب الخبر الثلاثة: الابتدائى، والطلبى، والإنكارى.

(١) إمعان ٥ — ٨.

(٢) إمعان ١٤. أمين ٢٣٧.

(٣) مباحث ٣٠٠. أمين ٢٣٧.

فقد يكون المخاطب خالى الذهن من الحكم ، فيلقى إليه الكلام غفلا من التأكيد. ويسمى هذا الضرب : ابتدائيا .

وقد يكون مترددا فى ثبوت الحكم وعدمه، فيحسن تقوية الحكم له بمؤكد ليزيل تردده . ويسمى هذا الضرب : طلبيا .

وقد يكون منكرا للحكم ، فيجب أن يؤكد له الكلام بقدر إنكاره قوة وضعفا. ويسمى هذا الضرب : إنكاريا .

والقسم من المؤكدات المشهورة التى تمكن الشئ فى النفس وتقويه . وقد نزل القرآن للناس كافة . ووقف الناس منه مواقف متباينة . فمنهم الشاك ، ومنهم المنكر، ومنهم الخصم الألد . فالقسم — فى كلام الله — يزيل الشكوك ، ويحبط الشبهات، ويقيم الحجة، ويؤكد الأخبار، ويقرر الحكم فى أكمل صورة^(١).

وروى د . يوسف خليف أن السيوطى علل الأقسام بقرب العهد من العصر الجاهلى، وأن القرآن جرى على عادة العرب فى القسم . ورأى أن السببين اللذين ذكرهما السيوطى والقشيرى يكمل أحدهما الآخر^(٢) .

ورد انتشار القسم — فى المرحلة المكية — إلى أن هذه المرحلة — فى تاريخ الدعوة الإسلامية — هى التى شهدت حملات الرفض والإنكار لهذه الدعوة، والتشكيك فيما جاء به الدين الجديد من أمور غيبية جديدة على العرب ، لم يكونوا على استعداد لتقبلها، أو من أمور روحانية لم تهئ لهم حياتهم المادية فرصة الاقتناع بها .

(١) مباحث ٣٠١ — ٢ . وأتى به غير منسوب : إسماعيل ٣٦٣ . وانظر أمين ٢٤٦ .

(٢) دراسات ٩٦ .

وإذا لا حظنا أن القرآن — في دوره المكي — كان يتعامل مع العرب تعاملًا وجدانيًا، في محاولة لإثارة مشاعرهم وعواطفهم، رداً على أسلوبهم الانفعالي العصبي في التعامل معه، استطعنا أن نضيف سبباً ثالثاً لانتشار القسم في الآيات المكية^(١).

ويتضح من هذه الجولة أن الأقسام أُرقت المتكلمين من المفسرين خاصة من أمثال الزمخشري والرازي، وأن السؤال عن قيمة هذه الأقسام وتسويغ صدورها من الخالق يواجه الواحد منهم بعد الآخر. ولذلك نجد الزمخشري مثلاً يتعرض للأمر مرتين، والرازي يسعى للإجابة عنه في أكثر من موضع، وأفاض في ذلك. كذلك يتضح أن الفراهي مازال يتصدى للرازي، ويسعى — بحق أو باطل — إلى أن ينقض كل ما بنى.

ويتضح أن المحدثين اعتمدوا في إجاباتهم على زيادة المعرفة بالنفس البشرية، وما تتطلع إليه، وما تقتنع به. ولكنني أخالف د. يوسف خليف في جعله القرب من العصر الجاهلي أحد دواعي الأقسام القرآنية.

(١) دراسات ٦٩ — ٦.

الفصل السادس

المقسم عليه

لاحظ الحسين بن مسعود البغوي (٤٣٦-٥١٠ / ١٠٤٤-١١١٧) أن

القرآن أورد المقسم عليه في عدة أشكال ، فقال : جوابات القسم سبعة :

(إن) الشديدة كقوله : «وَالْفَجْرِ . . . إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ»^(١).

و (ما) النفي كقوله «وَالضُّحَى . . . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ»^(٢).

واللام المفتوحة كقوله : «فَوَرَبُّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ»^(٣).

و (إن) الخفيفة كقوله : «إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ»^(٤).

و (لا) كقوله «وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ»^(٥).

و (قد) كقوله : «وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا . . . قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا»^(٦).

و (بل) كقوله «وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ * بَلْ عَجِبُوا»^(٧).

(١) سورة الفجر ١ ، ١٤ .

(٢) سورة الضحى ١ ، ٣ .

(٣) سورة الحجر ٩٢ .

(٤) سورة الشعراء ٩٧ .

(٥) سورة النحل ٣٨ .

(٦) سورة الشمس ١ ، ٩ .

(٧) سورة ق ١ ، ٢ . معالم ٣٥٦/٧ . وأود أن أشير إلى أن في بعض ما أورده خلافا في كونه

جواب القسم .

ولاحظ الرازى أنه فى جميع السور التى أقسم الله فى ابتدائها بغير الحروف ،
كان القسم لإثبات الأصول الثلاثة التى يتم بها الإيمان ، وهى : الوجدانية ،
والرسالة ، والحشر^(١) .

ولم يقسم لإثبات الوجدانية إلا فى سورة واحدة ، هى الصفات ، حيث قال
فى الآية الرابعة منها : ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ . وأقسم لإثبات صدق محمد ﷺ
وكونه رسولا فى سورتين : فى إحدهما بأمر واحد ، هو قوله : ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ *
مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ ، وفى الثانية بأمرين ، هما قوله : ﴿وَالضُّحَىٰ * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ
* مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ وكان القسم عليه فى باقى السور الحشر والجزاء وما
يتعلق بهما .

وعلى ذلك فى هذا الموضع بأنهم — وإن كانوا يقولون : ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا
وَاحِدًا﴾^(٢) على سبيل الإنكار ، وكانوا يبالغون فى الشرك — لكنهم فى تضاعيف
أقوالهم ، وتصارييف أحوالهم ، كانوا يصرحون بالتوحيد . فاكفى بالبرهان ، ولم يكثر
من الإيمان ، وبأن القسم على إثبات رسالته قد كثر بالحروف والقرآن ، كما
فى قوله : ﴿يَس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ أقسم بالقرآن لتكون
الإشارة — فى القسم — واقعة إلى القرآن ، الذى هو معجزة رسالته ؛ وبأن إنكارهم
للحشر كان خارجا عن الحد ، ولم يُستوفَ فى صورة القسم بالحروف^(٣) .

وعلى هذه الظاهرة فى موضع آخر بأن دلائل الوجدانية كثيرة ، وكلها عقلية
كما قيل : وفى كل شئ له آية تدل على أنه واحد

(١) مفاتيح ١٦٧ / ٢٨ . الرازى لعبد الحميد ٢٥٢ . وأتى به غير منسوب : الفراهى ٤ . خليف

١٠٢ — ٧ . وانظر ابن القيم ٤٩ / ١ . الجندى ٣٨ . المدخل ١ / ٥٠١ ، ٥٠٤ .

(٢) سورة ص ٥ .

(٣) مفاتيح ١٦٧ / ٢٨ . الرازى لعبد الحميد ٢٥٢ .

ودلائل النبوة أيضا كثيرة، وهى المعجزات المشهورة والمتواترة. وأما الحشر
فإمكانه يثبت بالعقل، وأما وقوعه فلا يمكن إثباته إلا بالسمع. فأكثر القسم ليقطع
به المكلف ويعتقده اعتقادا جازما^(١).

وأعلن ابن القيم : يقسم — سبحانه — على أصول الإيمان التى يجب على
الخلق معرفتها^(٢). تارة يقسم على التوحيد، وتارة على أن القرآن حق، وتارة على
أن الرسول ﷺ حق ، وتارة على الجزاء والوعيد والوعيد، وتارة على حال
الإنسان^(٣).

وما أقسم عليه الرب فهو من آياته . فيجوز أن يكون مقسما به ، ولا
ينعكس^(٤).

ونظر إلى شكل جملة القسم . فوجد أنه إما على جملة خبرية ، وهو الغالب ،
كقوله : ﴿فَوَرَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾^(٥).

وإما على جملة طلبية ، كقوله : ﴿فَوَرَّبُّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا
يَعْمَلُونَ﴾^(٦). مع أن هذا قد يراد به تحقيق القسم عليه، فيكون من باب الخبر،

(١) مفاتيح ٢٣٩ / ٢٨ — ٤٠ .

(٢) التبيان ٤٩ / ١ . معترك ٤٥٤ / ١ . الإتيان ١٧١ / ٢ . الفراهى ١٠ . القاضى ٨٦ .

قمحاوى ٢٦ / ٣ . إسماعيل ٣٦٧ . وأتى به غير منسوب : القطان ٣٠٦ . شحاتة ٢٧٦ .
المدخل ٥٠٤ / ١ .

(٣) التبيان ٤٩ / ١ — ٦٤ . معترك ٤٥٤ / ١ . الإتيان ١٧١ / ٢ . الفراهى ١٠ . القاضى
٨٦ — ٧ . قمحاوى ٢٦ / ٣ . إسماعيل ٣٦٧ — ٩ . وأتى به دون نسبة : بدوى ١٧٢ .
شحاتة ٢٧٦ — ٧ . المدخل ٥٠٤ / ١ . رضا ١٦٨ — ٧٠ .

(٤) التبيان ٤٦ / ١ . معترك ٤٥٣ / ١ . الإتيان ١٧١ / ٢ . قمحاوى ٢٦ / ٣ .

(٥) سورة الذاريات ٢٣ .

(٦) سورة الحجر ٩٢ — ٣ .

وقد يراد به تحقيق القسم^(١).

وقال د. أحمد أحمد بدوى : يقسم القرآن — غالبا — على صدق ما جاء به هذا الدين ، الذى نزل القرآن لتثبيت أسسه وقواعده ، وأحيانا يؤكد أحوال الإنسان^(٢).

وأضاف د. شعبان محمد إسماعيل أن القرآن يقسم تارة على نفي صفة ذميمة عن الرسول ﷺ كما فى أول سورتي النجم والقلم^(٣).

وأرجع د. محمد بكر إسماعيل الأمور الكثيرة التى أقسم الله فى كتابه عليها إلى أصلين بدلا من ثلاثة ، وهما عنده :

• أصول الإيمان .

• حال الإنسان^(٤).

ويتضح من هذه الجولة أن المقسم عليه لم ينل من اهتمام العلماء إلا قسطا ضئيلا جدا بالنسبة لما ناله المقسم به، وأن الرازى وابن القيم كانا أكثرهم اعتناء . ولعل السبب فى قلة حظه أن الحديث عنه جزء من الحديث عن مضامين القرآن . ومن الطبيعى أن يغطى الحديث عن جملة القرآن على الحديث عن جزئياته.

(١) البيان ١/ ٤٥ — ٦ . معترك ١/ ٤٥٣ . الإتقان ٢/ ١٧١ . قمحاوى ٣/ ٢٦ .

وأتى به غير منسوب : القطان ٣٠٦ .

(٢) من بلاغة ١٧٢ . وأتى به غير منسوب : القطان ٣٠٦ .

(٣) المدخل ١/ ٥٠٤ .

(٤) دراسات ٣٦٦ — ٧ .

الفصل السابع

أنواع القسم

قسم الزركشى القسم إلى نوعين :

١ - مُظْهَر كقوله : «فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ» ^(١).

٢ - ومضمر ، وهو قسمان :

(أ) قسم دلت عليه لام القسم كقوله : «لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ» ^(٢).

(ب) وقسم دل عليه المعنى كقوله : «وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا» ^(٣) تقديره : والله ^(٤).

وفسر مناع القطان التسمية . فحدد المظهر أو الظاهر بما صُرِّح فيه بفعل

القسم والمقسم به . ومنه ما حذف فيه فعل القسم — كما هو الغالب — اكتفاء

بالأداة . وحدد المضمر بما لم يصرح فيه بفعل القسم ولا بالمقسم به ^(٥).

(١) سورة الذاريات ٢٣ .

(٢) سورة آل عمران ١٨٦ .

(٣) سورة مريم ٧١ .

(٤) البرهان ٤٢ / ٣ — ٣ . وأتى به غير منسوب : معترك ١ / ٤٥٢ . الإتيان ٢ / ١٧٠ .

الآلوسى لعبد الحميد ٢٤٦ . شعبان ١ / ٥٠١ . قمحوى ٣ / ٢٥ . خليف ٩٥ .

(٥) مباحث ٣٠٣ — ٤ .

وحدد د. شعبان محمد إسماعيل الظاهر بما ظهرت فيه أركانه أو أغلبها، وهو الأعم الأغلب في القرآن؛ والمضمر بما دل عليه مضمون الكلام، وهو قليل في القرآن^(١).

وسمى د. يوسف خليف القسم الظاهر : الصريح^(٢)، ولاحظ أنه ورد في إحدى وثمانين آية ، منها ثلاث وستون مكية، وثمان عشرة مدنية^(٣).

وقال د. شعبان محمد إسماعيل عن القسم الظاهر : جاء على أنحاء مختلفة وأشكال متنوعة :

فتارة يتعدد المقسم به مع انفراد المقسم عليه ، كما في قوله :
﴿وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ . . . إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾^(٤).

وتارة بتعدد المقسم عليه ، كما في سورة الضحى كلها .

وتارة ينفرد المقسم به مع تعدد المقسم عليه ، كما في قوله :
﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾^(٥).

(١) المدخل ١ / ٥٠٢ - ٣ .

(٢) دراسات ٩٥ .

(٣) دراسات ٩٥ .

(٤) سورة الطور ١ - ٧ .

(٥) سورة النجم ١ - ٤ . المدخل ١ / ٥٠٢ .

الفصل الثامن

أركان القسم

قال مناع القطان : أجزاء صيغة القسم ثلاثة :

- ١ - الفعل الذى يتعدى بالباء .
 - ٢ - والمقسم به .
 - ٣ - والمقسم عليه ^(١).
- وقال د . بكرى شيخ أمين : فى القسم ثلاثة أمور :

- ١ - أداة القسم .
 - ٢ - المقسم به .
 - ٣ - المقسم عليه ^(٢).
- وقال د . شعبان محمد إسماعيل : للقسم أركان أربعة :

- ١ - مُقسم .
- ٢ - ومقسم به .
- ٣ - ومقسم عليه .
- ٤ - وأداة قسم ^(٣).

(١) مباحث ٣٠٠ .

(٢) التعبير ٢٣٨ — ٩ . وأتى به غير منسوب : شحاتة ٢٧٢ . إسماعيل ٣٦٤ .

(٣) المدخل ١ / ٥٠١ .

وإذن فقد أجمعوا على ركنين :

١ - المقسم به .

٢ - والمقسم عليه .

واتفق الأخيران على :

٣ - أداة القسم .

وانفرد د . شعبان بذكر المقسم ، ولسنا في حاجة للحديث عنه لأنه — في مقام القرآن — هو سبحانه . كما انفرد القطان بذكر فعل القسم مع إحدى الأدوات . والحق إن الفعل لا يمكن إهماله وإن حذف كثيرا ، اكتفاء بالأداة .

وإذا كنت جعلت القطان أول من ذكرت آراءهم ، فإنني لم أرد بذلك أن أحدا قبله من العلماء لم يشعر بأن جملة القسم تتألف من أجزاء ، ولم يذكر هذا أو ذاك منها ، بل ورد ذلك كثيرا ومنذ عهد بعيد . وإنما أريد أنه أول من نظر في القسم في جملة ، وحاول تصنيف أجزائه .

خاتمة

نخلص من هذه الدراسة بأن «الأقسام» لا تصلح أن تكون وجها مستقلا للإعجاز القرآني ، وإنما هي أحد عناصر الإعجاز البياني .
ونتبين أن عبد الله بن عباس — من صغار الصحابة عمرا — لفت نظره من أقسام القرآن ظاهرتان :

• القسم بحياة محمد .

• ودخول (لا) على القسم .

وجزم في الظاهرة الأولى بأن هذا القسم وقع تكريما للنبي الذي لا يوجد عند الله من هو أكرم منه . وفتح بهذا القول الباب ليلج منه من أرادوا تبرير إقسام القرآن بغير الله ، وهو الأمر المنهى عنه . فتفد ثروة طائلة من التبريرات ، التي رأينا أننا يمكن — للتعميم — أن ندرجها تحت مبررين اثنين تتشعب منهما مسالك . هذا المبران هما :

• صفات المقسم به الذاتية .

• وكونه صالحا للاستدلال به على وجود الله وصفاته .

وارتاح ابن عباس في الظاهرة الثانية إلى القراءة التي تفصل بين (لا) وفعل القسم الذي بعدها باستراحة ، فأبعد بذلك النفي عن التقسيم .
ونسب إليه مفسرو الشيعة — والقرطبي من القرن السابع — أنه حاول معرفة كنهه (لا) هذه . ولكن أغلبية المفسرين عزت هذه المحاولة إلى سعيد بن جبير من التابعين . وهو الرأي الذي أميل إليه ، تحقيقا للتدرج الزمني .
ونتبين أن العناية بالأقسام استمرت دون أن تحبو جذوتها ، غير أننا نلاحظ أن السنحويين كانت لهم مشاركة واسعة في القرنين الثاني والثالث ، وبخاصة فيما تعلق

بأساليب القسم . وانضم إليهم — في القرن الثامن — المفسر النحوى أبو حيان الأندلسى ، وعالم النحو ابن هشام المصرى . ولم يخلِ الزمخشرى كشفاه ، والرازى مفاتيحه من النظرات النحوية .

والغريب أن هذه الحركة الواسعة والمتصلة على القرون لم تثمر كتبا منفردة عن الأقسام غير تبيان ابن القيم قديما، وإمعان الفراهى حديثا ، بعكس ما قال د . محمد محمد أبو شهبه ^(١) .

ولذلك نجد أكثر من كتبوا عن الأقسام بعد ابن القيم اعتمدوا على كتابه : إما بالاقتباس المباشر أو التصرف فى عبارته ، ومع الاعتراف بذلك فى كثير من الأحيان وعدم الاعتراف أحيانا .

ومن ثم أعجب د . محمد محمد أبو شهبه به ، وجهر — على حق — بأنه أحفل الكتب المؤلفة عن الأقسام وأجلها .

وجدير بالتقدير أيضا كتاب الفراهى ، الذى أمد التفكير الإسلامى فى الأقسام بروافد لم يعتن بها غيره . ويبدو أنه كان يختلف عن الرازى فى اتجاهاته الكلامية فى التفسير . ولذلك خصه بقدر كبير من اللوم الذى صبه على أفكار وجدناها عند غير الرازى ممن سبقوه .

ويؤدى بنا هذا إلى أن نذكر للرازى تميزه بالحوار المسهب والمتعدد الذى ابتكره دفاعا عن الأقسام .



(١) المدخل ٢٤٨ .

المصادر والمراجع

- الألوسى ، شهاب الدين محمود بن عبد الله : روح المعاني فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني — بيروت — دار الفكر — ١٣٩٨ / ١٩٧٨ .
- الأخفش ، سعيد بن مسعدة : معاني القرآن — مصر — دار مطبعة المدني — ط ١ — ١٤١١ / ١٩٩٠ .
- د . إسماعيل ، شعبان محمد : المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية — مصر — دار الأنصار — ط ١ — ١٤٠٠ / ١٩٨٠ .
- د . إسماعيل ، محمد بكر : دراسات فى علوم القرآن — دار المنار — ط ١ — ١٤١١ / ١٩٩١ .
- الإصبع (ابن أبي) ، عبد العظيم بن عبد الواحد : الخواطر السوانح فى أسرار الفواتح — مصر — مطبعة الرسالة — ١٩٦٠ .
- د . أمين ، بكرى شيخ : التعبير الفنى فى القرآن — دار الشروق — ط ٢ — ١٣٩٦ / ١٩٧٦ .
- د . بدوى ، أحمد أحمد : من بلاغة القرآن — الفجالة — مكتبة نهضة مصر — ط ٣ .
- البغوى ، الحسين بن مسعود : معالم التزويل — لبنان — بيروت — دار المعرفة — ١٤٠٧ / ١٩٨٧ .

- جنى (ابن)، عثمان : المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها — مصر — المجلس الأعلى للشئون الإسلامية — ط ١ .
- الجوزى (ابن) ، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي : زاد المسير في علم التفسير — المكتب الإسلامي .
- جوهرى ، طنطاوى : التاج المرصع بجواهر القرآن والعلوم — مصر — المطبعة الرحمانية — ط ٢ — ١٩٣٣ .
- الحديدى ، محمد أبو النور : البيان في دفع التعارض المتوهم بين آيات القرآن — مصر — مطبعة الأمانة — ١٤٠١ / ١٩٨١ .
- حسين ، محمد الخضر : بلاغة القرآن — طبع ونشر على الرضا التونسى — ١٣٩١ / ١٩٧١ .
- حمودة ، عبد الوهاب : أسرار القسم في القرآن — مجلة لواء الإسلام — جمادى الثانية ١٣٦٨ / ١٩٤٨ .
- حيان (أبو) ، محمد بن يوسف : البحر المحيط — مصر — مطبعة السعادة — ط ١ — ١٣٢٨ .
- د . خليف ، يوسف : دراسات في القرآن والحديث — مصر — دار غريب للطباعة .
- الرازى ، فخر الدين محمد بن عمر : مفاتيح الغيب — بيروت — دار الكتب العلمية — ١٤١١ / ١٩٩٠ .
- الراغب الأصفهاني ، حسين بن محمد : المفردات في غريب القرآن تحقيق محمد سيد كيلاني — لبنان — بيروت — دار المعرفة .
- د . رضا ، فؤاد علي : من علوم القرآن — مكتبة مدبولي بالقاهرة ودار اقرأ بيروت — ط ١ — ١٩٨٢ / ١٤٠٢ .

- رضا ، محمد رشيد : تفسير المنار — بيروت — دار المعرفة .
- الزركشى ، محمد بن عبد الله : البرهان في علوم القرآن — مصر — دار إحياء الكتب العربية — ط ١ — ١٣٧٧ / ١٩٥٨ .
- الزمخشري ، محمود بن عمر : الكشاف عن حقائق التنزيل ، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل — دار الفكر — ط ١ — ١٣٩٧ / ١٩٧٧ .
- د . سلطان ، منير : إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة — مصر — مركز الدلتا للطباعة — ١٩٨٦ .
- سيويه ، عمرو بن عثمان : الكتاب — مصر — دار القلم — ١٣٨٥ / ١٩٦٦ وما بعدها .
- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر : الإتيقان في علوم القرآن — مصر — المطبعة الموسوية — ١٢٨٧ .
- : معترك الأقران في إعجاز القرآن — مصر — دار الثقافة العربية للطباعة — ١٩٦٩ .
- د . شحاتة ، عبد الله محمد : علوم القرآن والتفسير — الهيئة المصرية العامة للكتاب — سلسلة المكتبة الثقافية — العدد ٣١٦ — ١٩٧٥ .
- د . شرف الدين ، صالحة عبد الحكيم : القرآن الحكيم — مطابع الكويت تايمز — رجب ١٤٠٤ / أبريل ١٩٨٤ .
- د . شهبة (أبو) ، محمد محمد : المدخل لدراسة القرآن الكريم — مصر — دار اللواء — ط ٢ .

- الشوكاني ، محمد بن علي : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير — دار الفكر — ط ٣ — ١٩٧٣ / ١٣٩٣ .
- الطبرسي ، الفضل بن الحسن : مجمع البيان في تفسير القرآن — لبنان — بيروت — دار إحياء التراث العربي .
- الطبري ، محمد بن جعفر : جامع البيان عن تأويل القرآن — لبنان — بيروت — دار الفكر — ط ٤ — ١٤٠٠ / ١٩٨٠ .
- الطوسي ، محمد بن الحسن : تفسير البيان — العراق — النجف الأشرف — مكتبة الأمين .
- عبد الحميد ، محسن : الآلوسي مفسرا — بغداد — مطبعة المعارف — ١٣٨٨ / ١٩٦٩ .
- الرازي مفسرا — بغداد — دار الحميدية للطباعة — ١٣٩٤ / ١٩٧٤ .
- د . عبد الرحمن ، عائشة : الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق — مصر — دار المعارف — ١٩٧١ .
- عبده ، محمد : تفسير جزء عم .
- عبدة (أبو) معمر بن المثنى : مجاز القرآن — القاهرة — طبع محمد الخانجي — ١٩٥٤ .
- العربي (ابن) ، أبو بكر محمد بن عبد الله : أحكام القرآن .
- العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله : الفروق .
- عطية (ابن) ، عبد الحق بن غالب : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز — طبع على نفقة سمو أمير دولة قطر .

- د . العمري ، أحمد جمال : مباحث في إعجاز القرآن — مصر —
نشر مكتبة الشباب — ١٩٨٠ .
- الفراهي ، المعلم عبد الحميد : إمعان في أقسام القرآن — الهند —
على كره — المطبعة الأحمدية — ١٣٢٩ .
- الفراء ، يحيى بن زياد : معاني القرآن — الدار المصرية للتأليف
والترجمة .
- القاضي ، عبد الفتاح : من علوم القرآن — منشورات مكتبة
الكلية الأزهرية — ط ٢ — ١٣٩٦ / ١٩٧٦ .
- قتيبة (ابن) ، عبد الله بن مسلم : تأويل مشكل القرآن — مصر
— دار إحياء الكتب العربية — ١٣٧٣ / ١٩٥٤ .
- : تفسير غريب القرآن — مصر — دار إحياء الكتب العربية —
١٣٧٨ / ١٩٥٨ .
- القرطبي ، محمد بن أحمد : الجامع لأحكام القرآن — مصر — دار
الكتب المصرية .
- القطان ، مناع : مباحث في علوم القرآن — مؤسسة الرسالة —
ط ٤ — ١٣٩٦ / ١٩٧٦ .
- قمحاوي ، محمد الصادق : الإعجاز والبيان في علوم القرآن —
القاهرة — مكتبة عالم الفكر — ١٩٨٠ .
- القيم (ابن) ، محمد بن أبي بكر : التبيان في أقسام القرآن —
الرياض — المؤسسة السعيدية .
- كثير (ابن) ، أبو الفدا إسماعيل بن عمر : تفسير القرآن العظيم —
بيروت — دار المعرفة — ١٣٨٨ / ١٩٦٩ .

- د . الكرداني ، أحمد عبد السلام : نماذج من الإعجاز العلمى للقرآن — مصر — مطابع الشعب — ١٩٧٢ .
- د . موسى ، حسن محمد : بيان المشتبه من معانى القرآن الكريم — مصر — ربيع الأول ١٣٧٦ — أكتوبر ١٩٥٦ .
- النيسابورى : غرائب القرآن ورغائب الفرقان .
- هشام (ابن) ، جمال الدين عبد الله بن يوسف : مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب — تحقيق د . مازن المبارك — ط ١ .

فهرست

الصفحة

٣

مقدمة

٥

الفصل الأول : المقسم به

٦

أ . الحروف المفردة .

٧

ب . ما اتصل بمحمد .

٧

١ . عمره

١٢

٢ . ربه

١٣

٣ . محمد وحياته وخيله

١٣

٤ . زمانه ومكانه وعمره

١٤

ج . الأشياء :

١٤

١ . لذاقها

٢٣

٢ . لدالاتها

٣٧

٣ . تقدير مضاف محذوف

٤١

٤ . الأشياء التي أقسم الله بها

٤٩

٥ . الحسية في الأقسام المكية والمدنية

٥١	الفصل الثانى : أساليب القسم
٥١	أ . دخول أدوات النفى عليه
٥١	١ . لا غير نافية للقسم
٥٨	٢ . لا نافية
٦٤	٣ . لا ناهية
٦٥	٤ . كلا
٦٧	ب . دخول اللام على القسم
٦٧	١ . لام قسم
٧٠	٢ . لام ابتدائية
٧٢	ج . صيغ القسم
٧٤	١ . الشهادة
٧٧	٢ . اللام
٧٩	٣ . مثابة القسم
٧٩	٤ . القسم
٨١	٥ . الألية
٨٢	٦ . الحلف
٨٣	٧ . العلم
٨٤	٨ . العهد
٨٤	٩ . اليمين

الصفحة

٨٥ التفرقة بين الصيغ

٨٧ د — أدوات القسم

٩٢ هـ — تعدد المقسم به

٩٤ و — زيادة إى

٩٥ ز — اقتران القسم بالشرط

٩٦ ح — القسم بالجموع والأفراد

٩٧ ط — القسم بجموع السلامة للمذكر

والمؤنث

٩٧ ي — دخول إذا عليه

٩٨ ٣ - حذف جزء منه

٩٨ أ — حذف اللام

١٠٠ ب — حذف المقسم عليه

١٠٦ ج — حذف فعل القسم

١٠٧ د — حذف المقسم به

١٠٨ هـ — حذف الفعل والأداة

فهرس

الصفحة

١٠٩	الفصل الرابع : الجمال الفن
١٠٩	أ - التناسب بين المقسم به والمقسم عليه
١١٣	ب - البلاغة والإعجاز
١١٧	الفصل الخامس : أغراض القسم ودواعيه
١١٧	أ - أغراضه
١١٩	ب - دواعيه
١٢٧	الفصل السادس : المقسم عليه :
١٣١	الفصل السابع : أنواع القسم :
١٣٣	الفصل الثامن : أركان القسم :
١٣٥	خاتمة :
١٣٧	المصادر والمراجع :
١٤٣	الفهرس :

٢٠٠٠/١٩٢٤٦	رقم الإيداع
977 / 341 / 015 / 3	الترقيم الدولي

منتدى سور الأندلسية

WWW.BOOKS4ALL.NET

<https://www.facebook.com/books4all.net>